

صورة مصر في "كتاب تاريخ يوسف" ليوسف كمبل بوش المعروف بعجائبات فرنگ رانيا محمد فوزي (*)

الملخص

إن رغبة الإنسان في اكتشاف العوالم الجديدة جعلته ينحو نحو السفر والترحال؛ إشباعاً لتلك الرغبة، ولم يرتبط ذلك بفترات التمدن والتحضرفقط. وتحكى أول أوراق قصة سفر الإنسان وترحاله عن خروج سيدنا "ادم" من الجنة، حيث اعتبر هذا الخروج كناية عن السفر العظيم والكبير. هذا السفر مازال مستمرًا حتى الآن وسيظل قائمًا حتى نهاية الإنسانية؛ ولذلك فالسفر والترحال يرتبطان ببداية الإنسان، ولن ينتهيا إلا بنهايته.

ولقد كتب أدب الرحلات في شبه القارة الهندية قبل "يوسف خان كمبل بوش" بالفارسية. لهذا يعتبر "تاريخ يوسف المعروف باسم عجائب الغرب" الذي يمثل مادة بحثنا، أول كتاب في أدب الرحلات في شبه القارة بالأردنية. بالرغم من أن "كمبل بوش" قد كتبه أولاً بالفارسية عام 1843م ثم بعد ذلك وضعها للكتاب في قالب الأردنية.

كل ما سبق دفعني لمحاولة البحث في هذه الرحلة - وإن كان البحث سيقصر على الجزء الخاص بمصر - وقد استخدمت منهج البحث الوصفي والذي يقوم على الوصف والاستقصاء لما ورد ذكره عند يوسف كمبل عن مصر في فترة زيارته لها وبيان ما تذكره كتب التاريخ عن هذه الفترة، سواء من الناحية السياسية أو الحضارية. هذا من جانب ومن جانب آخر استخدمت المنهج الجمالي لتقديم صورة نقدية جمالية لما كتبه عن الرحلة؛ إذ إننا لا يجب أن ننسى في النهاية أننا نتحدث عن صنف من صنوف الأدب، وليس كتاباً في التاريخ.

وقد جاء البحث في مقدمة تناولت فيها أسباب اختيار الموضوع ومنهجيته، ثم تمهيد ذكرت فيه ما توفر من معلومات - وإن كانت شحيحة للغاية - عن مؤلف الكتاب، وعن الرحلة نفسها وأسلوب كتابه، ثم يأتي مبحث الدراسة الذي يحمل عنوان: الدراسة الفنية والتاريخية لكتاب تاريخ يوسف وأعرض فيه مشاهدات الكاتب في رحلته إلى مصر من ناحية العادات والتقاليد ووسائل المواصلات ورأيه في حاكم مصر في تلك الفترة وهو محمد علي... إلخ كما أعرض لكيفية تصوير ذلك من الناحية الفنية.

ثم تأتي الخاتمة وفيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج، ثم اتبعت ذلك بثبت المصادر والمراجع. وإتماماً للفائدة ألحقت بالبحث ترجمة ما ورد بكتاب "تاريخ يوسف" عن مصر؛ لتسهيل على القارئ متابعة مشاهدات يوسف كمبل التي سطرها عن مصر أثناء زيارته لها.

وفي النهاية أدعو الله أن ينفع بهذا الجهد المتواضع الدارسين عامة ودارسي الأردن خاصة وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب الدعاء.

* الأستاذ المساعد بقسم اللغات الشرقية فرع اللغة الأردية - كلية الآداب - جامعة عين شمس

Egypt's Image in Yusuf Khan Kambalposh's History Book Known as "Ajaibāt-e-Farang"

Rania Mohamed Fawzy

Abstract

Man's desire to discover new worlds made him tend toward travelling to fulfill that desire, a desire that is not linked to periods of urbanization and civilization. The first tale of human travelling conveys the exit of "Adam" from Paradise, a metaphor for the great journey that will continue until the end of humanity; therefore, travelling is linked to the beginning of humanity and will not end until its end.

Travel literature was written in the Indian subcontinent by "Yusuf Khan Kambalposh" in Farsi. This is why Ajaibāt-e-Farang (The Wonders of the West), our research material, is considered the first Urdu travel book in the sub-continent although Kambalposh wrote it first in Persian in 1843 and translated it into Urdu.

All of the above encouraged me to try to study this trip-although the study will be limited to the part of Egypt- I have used the descriptive research methodology, which is based on the description and survey of what Kambalposh mentioned about Egypt during the period of his visit, whether from a political perspective or civilization perspective. On the other side, I used the aesthetic approach to provide a critical aesthetic image of what was written about the journey; as we must not forget that in the end we this is a form of literature, and not a history book.

The introduction of the study addresses the reasons for choosing this topic and methodology, the preamble encompasses information about the author of the book although scarce, the journey itself and his writing style. A chapter titled: artistic and historical study of the history book Ajaibāt-e-Farang, which introduces the author's views on his trip to Egypt in terms of customs and traditions, transportation as well as his opinion of the ruler of Egypt at that time, **Muhammad Ali...etc.**

Then comes the conclusion and the key findings of the study results followed by a bibliography of sources and references. Additionally, I have attached a translation of the parts related to Egypt in Ajaibāt-e-Farang to make it easier for the reader to follow up with Kambalposh's view on Egypt during his visit.

This research reviews military operations of both axis and allied countries on the Libyan territory where the researcher presents a simple picture to events' currents during the second world war. The power scale shows that some sort of vacillation in force took place on the Libyan sand during the years 1941-1942, i.e. a struggle that never happens between the German product and the Allied product with reference to the effective role of the Libyan army on the war events e. g. assistance that led to the victory of Allied countries

المقدمة:

إن رغبة الإنسان في اكتشاف العوالم الجديدة جعلته ينحو نحو السفر والترحال؛ إشباعاً لتلك الرغبة، ولم يرتبط ذلك بفترات التمدن والتحضّر فقط. وتحكى أول أوراق قصة سفر الإنسان وترحاله عن خروج سيدنا "ادم" من الجنة، حيث اعتبر هذا الخروج كناية عن السفر العظيم والكبير. هذا السفر مازال مستمرًا حتى الآن وسيظل قائمًا حتى نهاية الإنسانية؛ ولذلك فالسفر والترحال يرتبطان ببداية الإنسان، ولن ينتهيا إلا بنهايته.

ويكون السفر لأغراض عدة، منها: تحصيل العلم، ومشاهدة الطبيعة، والتنزه في العوالم الجديدة، كما يتخذ وسيلة للتعرف على الحضارات المختلفة، وأيضاً لنشر الدين، ولكسب العيش، ولزيارة الأماكن المقدسة.... إلخ. كما يكون البحث والاستكشاف سبباً للتحرك من أجل السفر، فيجعلان الإنسان دائم الاستعداد لاجتياز مصاعبه.

إن المشاهدة الحية أثناء السفر تمنح الإنسان المتعة، ويتجلى من خلالها التصوير المكتوب للمناظر، والتفاصيل المصورة وعمق المشاهدة. ونشعر باننا نمسك بيد الرحالة ونمر معهم بالعوالم الجديدة التي يمرون بها ليس هذا فقط؛ بل نشعر بالعجب والحيرة عندما نتقدم معهم خطوة خطوة، ونرى معهم منظرًا تلو الآخر. ويتم من خلال الرحلة تسجيل المعلومات التاريخية والجغرافية. حيث لا يقوم كاتب أدب الرحلات بتدوين أفكاره وأحواله فقط بل يؤدي فريضة كتابة التاريخ بطريق غير مباشر، إذ يقوم بإلقاء الضوء على الأحداث التاريخية المرتبطة بالعصر الذي يكتب فيه عن رحلته.

وأدب الرحلات هو نوع من السيرة الذاتية؛ حيث إن الرحالة يقوم بتدوين الأحداث المرتبطة بمشاهداته، والتي تتصل بمرحلة من حياته وهكذا السيرة الذاتية هي في الأصل تدوين لرحلة الحياة.

ولقد كُتب أدب الرحلات في شبه القارة الهندية قبل "يوسف خان كميل بوش" بالفارسية. لهذا يعتبر "تاريخ يوسف المعروف باسم عجائب الغرب" الذي يمثل مادة بحثنا، أول كتاب في أدب الرحلات في شبه القارة الهندية بالأردية. بالرغم من أن "كميل بوش" قد كتبه أولاً بالفارسية عام 1843م⁽¹⁾ ثم بعد ذلك وضعه الكاتب في قالب الأردية.

كل ما سبق دفعني لمحاولة البحث في هذه الرحلة - وإن كان البحث سيقصر على الجزء الخاص بمصر - وقد استخدمت منهج البحث الوصفي والذي يقوم على الوصف والاستقصاء لما ورد ذكره عند يوسف كميل عن مصر في فترة زيارته لها وبيان ما تذكره كتب التاريخ عن هذه الفترة، سواءً من الناحية السياسية أو الحضارية. هذا من جانب ومن جانب آخر استخدمت المنهج الجمالي لتقديم صورة نقدية جمالية لما كتبه عن الرحلة؛ إذ إننا لا يجب أن ننسى في النهاية أننا نتحدث عن صنف من صنوف الأدب، وليس كتاباً في التاريخ.

لا يفوتني هنا أن أنوه إلى أن أهم صعوبة واجهتني كانت الحصول عن معلومات عن مؤلفنا، فكتب تاريخ الأدب لم تورد عنه الكثير، وكل ما استطعت الوصول إليه كان من خلال مقدمة كتابه التي كتبها د. مظهر أحمد وقد ذكر هو نفسه مدى صعوبة الوصول إلى معلومة محققة عن الكاتب، أما المصدر الثاني فكان ما ذكره المؤلف عن نفسه من شذرات متناثرة في ثنايا رحلته.

وقد جاء البحث في مقدمة تناولت فيها أسباب اختيار الموضوع ومنهجيته، ثم تمهيد ذكرت فيه ما توفر من معلومات - وإن كانت شحيحة للغاية - عن مؤلف الكتاب، وعن الرحلة نفسها وأسلوب كتابه، ثم يأتي مبحث الدراسة الذي يحمل عنوان: الدراسة الفنية والتاريخية لكتابتاريخ يوسف وأعرض فيه مشاهدات الكاتب في رحلته إلى مصر من ناحية العادات والتقاليد ووسائل المواصلات ورأيه في حاكم مصر في تلك الفترة وهو محمد علي.... إلخ كما أعرض لكيفية تصوير ذلك من الناحية الفنية.

ثم تأتي الخاتمة وقد عرضت فيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج، ثم اتبعت ذلك بثبت المصادر والمراجع. وفي النهاية أدعو الله أن ينفع بهذا الجهد المتواضع الدارسين عامة ودارسي الأردية خاصة وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب الدعاء.

التمهيد:

كانت شبه القارة الهندية مقصدا للعديد من رحلات الاستكشاف والبحث، ولعل من أشهر ما كتب عنها كتاب "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" للبيروني.

وقد خرج منها العديد من الرحالة الذين جابوا مشارق الأرض ومغاربها لأسباب مختلفة؛ منها ما هو ديني، ومنها ما كان للدراسة أو التنزه أو البحث والاستكشاف أو رؤية بلاد جديدة. وقد شهد القرن التاسع عشر العديد من الرحلات؛ خاصة لبريطانيا باعتبار أن شبه القارة كانت خاضعة للإنجليز، فكان العديد من الناس يتجهون إلى إنجلترا للدراسة والتنزه، والاطلاع على جغرافية بلاد حكمهموتاريخهم وحضارتهم وعاداتهم وتقاليدهم.

وقد كتب الذين سافروا إلى إنجلترا قبل "يوسف خان كمبل بوش" رحلاتهم باللغة الفارسية؛ لذا يعتبر "تاريخ يوسفى المعروف باسم عجائب الغرب" - فيما نعلم- أول كتاب في أدب الرحلات باللغة الأردنية، بالرغم من أن "كمبل بوش" قد كتبه أولا بالفارسية ثم صاغه بعد ذلك في قالب الأردنية⁽²⁾.

وقبل الحديث عن الكتاب لابد لنا من التعرّيج على سيرة حياة "كمبل بوش" بشكل مختصر. ونقرر بداية أن المعلومات الواردة عنه في كتب الأدب شحيحة للغاية، ولا تعطينا معرفة شاملة عنه، فلا يعرف مثلا بشكل محدد سنة ميلاده أو وفاته، وقد تساوت كتب تذاكر هذا العصر في عدم المعرفة بهذه المعلومات؛ لذلك تم إدراج الاقتباسات التي وجدت في مختلف الكتب المتعلقة ببعض أحواله والتي جمعها د. مظهر أحمد في مقدمة الكتاب:

1- تم ذكر كمبل بوش في تذكرة "سرايا سخن" لسيد محسن على في هذه الكلمات:-
"يوسف خان كان تخلصه "يوسف"، ابن رحمت خان، من سكان لكهنو، وكان معلمه خواجه حيدر على آتش".

2- وكتب عبد الغفور نساخ -أحد كتاب التذاكر المعاصرين "لكمبل بوش"- بعض التفاصيل عنه حيث أورد:

"تخلصه يوسف، يوسف خان ابن رحمت خان غورى من سكان لكهنو وتلميذ آتش"⁽³⁾.

ولقد تحدث مظهر خان في المقدمة عن بعض كتاب التذاكر الآخرين الذين ذكروا أنه كان مسيحيا إيطالي الأصل. ولكن بالرجوع لما كتبه عن نفسه في تاريخ يوسفى سنجد أن هذه المعلومات غير دقيقة في مجملها، حيث يذكر يوسف فى أكثر من موضع من رحلته أنه سليمانى المذهب⁽⁴⁾، ومن ذلك ما ذكره فى الجزء الخاص برحلته إلى مصر:

(.... فقلت له إنني أؤمن بالديانة السلمانية وأعتقد بها....)⁽⁵⁾

وعلى هذا يمكن التأكيد أن يوسف كمبل مسلم شيعي المذهب يتبع الشيعة الإسماعيلية السلمانية.

أما عن ظروف رحلته فنتركه ليقصها علينا كما وردت في بداية حديثه عنها:

(.... وصل هذا الفقير الذي هو في منتصف العمر إلى لكهنو بعدما ترك وطنه حيدر آباد عام ألف وثمانمائة وثمانية وعشرين ميلادي الموافق ألف ومائة وأربعة وأربعين هجري مارا ومشاهدا كلا من مدن عظيم آباد ، ودهاكة ، ومتشلهي بندر ، ومندرج ، وجوركهور ، ونيبال ، وأكبر آباد ، وشاهجهان وغيرها . وهنا وبإرادة القدر ومساعدة الضابط "خان منكنس صاحب بهادر" حظيت بوظيفة عند الملك "نصير الدين حيدر". ولقد فعل الملك سليمان كل ما بوسعه للاعتناء بي حيث تعجز الكلمات واللسان عن الوصف والشكر؛ وعهد برسالة لأحد خواصه، وبعد بضعة أيام أرسل تلك الرسالة لقائد المقاطعة فيعيش العبد الفقير باطمئنان ويقوم بشكر من أنعم بهذا . وداهمني على حين غرة حب تعلم الإنجليزية، وبعد اجتهاد لأيام قليلة حصلت لها وتمكنت منها ورحت أتصفح أغلب الكتب الإنجليزية وحظيت بمعرفة أحوال الدول والمدن وعاداتها وتقاليدها. وفي عام ألف وثمانمائة وستة وثلاثين ميلادي رغب قلبي في سياحة بلدان العالم وخاصة إنجلترا، فأخذت من الملك الرخصة لعامين بعدما أوضحت له، فأذن لي بعد أن كافأني، وشكرته ثم سافرت إلى المكان الذي أريد أن أسافر إليه....⁽⁶⁾)

يمكن أن نستنتج مما سبق أن " كميل بوش من حيدر آباد في (الدكن)، وقام من هناك بالسفر عام 1828م إلى مختلف أنحاء الهند، وفي النهاية استقر في لكهنو. ومن خلال وساطة صديق حصل على وظيفة في جيش السيد" نصير الدين حيدر " حيث ظفر في البداية بمنصب قائد لبعض الضباط ، ثم ظليترقى حتى أصبح رئيسا لجيش المقاطعة. ويبدو أن صلته بالإنجليز كانت قوية ؛ وهذا جعله يحب اللغة الإنجليزية ويبرع فيها في وقت قصير. كذلك تولد لديه حب مطالعة الكتب التاريخية وخاصة التي تختص بأحوال المدن والدول؛ مما جعله يستأذن السيد "نصير الدين" عام 1836م في أن يرتحل لمدة عامين، وقد وافق الأخير بل وساعده ماديا. وبالفعل غادر إلى إنجلترا في نفس العام؛ أي أنه ظل في وظيفته عند حاكم "أوده" لثمان سنوات قبل أن يقرر السفر. ولأن هذه المعلومات قد كتبها المؤلف نفسه؛ لذا فإنها الأكثر مصداقية بحسب رأينا-ويمكن لنا أن نعتمد عليها.

وبعد عودة "كمبل بوش" من سفره عاد إلى وظيفته في جيش "أوده"، إلا أننا -وبعد نهاية مملكة أوده عام 1856م- لا نعلم شيئا عن مكان يوسف كميل، ولا عن ما كان يفعل حتى وافته المنية على أرجح الأقوال في لكهنؤ عام 1861م⁽⁷⁾. ولقد حاول "تحسين فراقى" أن يقدر عمر كميل بوش عن طريق بعض المقارنات والقياس من خلال المعلومات الواردة في كتابه، فإذا أخذنا بقياسه هذا فسنجد أنه قد تم اختيار يوسف كميل للعمل في جيش "نصير الدين حيدر" وعمره خمسة وعشرون عاما تقريبا، وكان هذا عام 1828م؛ أي أنه قد ولد عام 1803م تقريبا، وطبقا لـ "جارسين دى تاسى" فقد توفي في 10 أغسطس 1861م، ومعنى هذا أنه عاش قرابة ثمانية وخمسين عاما⁽⁸⁾ ولكن هذه مجرد استنتاجات، قد نضطر إلى القبول بها نظرا لعدم وجود معلومات أخرى.

والآن لننتقل بحديثنا إلى الكتاب موضوع الدراسة، وسنجد أن "أحسن مارهروي" في كتاب "تاريخ النثر الأردني" يذكر أن الطبعة الأردنية الأولى لهذا الكتاب كانت تحت إشراف الكاتب "دهرم نارين" في مطبعة العلوم بمدرسة دهلي ،

وقد طُبِعَ عام 1847م ، وكان عدد صفحاته 297 صفحة. ولقد تم الاهتمام بمراجعة كتابته كتابةً صحيحة، ولكن لم يتم وقتها التمييز بين الياء المعروفة والياء المجهولة. ولغته مفهومه بشكل عام، ولكن توجد بعض التراكيب القديمة التي ذيلت بشرح لها⁽⁹⁾.

ثم طبع مرة أخرى عام 1873م في مطبعة "نولكشور" وهنا بدأ يطلق عليه اسم "عجائبات فرنگ"، وقد اشتهر بهذا الاسم رغم أن مؤلفه نفسه قد اختار له اسم "تاريخ يوسفى" حيث قال:

(.... لأن كل ما هو موضح في هذا الكتاب هو كل الأحوال التي مررت بها ، لهذا أطلقت عليه اسم "تاريخ يوسفى"....)⁽¹⁰⁾.

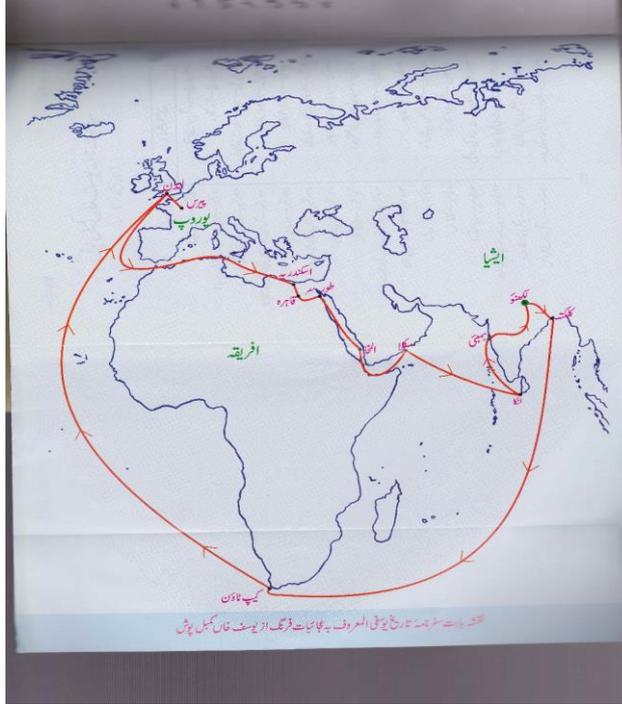
من المعلومات السابقة يمكننا القول إنه قد تم طبع أول نسخة من الكتاب بالأردية عام 1847م تحت اسم "تاريخ يوسفى"، ثم أعاد "نولكشور" صديق كميل بوش طبعه ولكن تحت اسم جديد هو "عجائباتفرنگ" وذلك عام 1873م؛ أي بعد النسخة القديمة بحوالى خمسة وعشرين عاما تقريبا، ثم بعد ذلك في 1898م تم نشر طبعة أخرى منه. والنسخة الأولى غير موجودة بينما نسخة "نولكشور" موجودة في بعض المكتبات القديمة لشبه القارة الهندية.

وكما أشرنا فقد أطلق كميل بوش اسم "تاريخ يوسفى" على رحلته هذه التي تقعى 173 صفحة، ولكنها اشتهرت بعد ذلك باسم "عجائب الغرب"، ولكن بالنظر في أحداث الرحلة نجد أن وصفه لأحوال مصر والهند يقع في حوالى 100 صفحة، أما تسجيله لأحوال الغرب فيقع في 73 صفحة فقط مما يجعلنا نقول إن اسم "تاريخ يوسفى" أفضل من اسم "عجائب الغرب".

يحوى كتاب تاريخ يوسفى شرحا شيقا وجذابا لما رآه الكاتب في سفره للبلدان التي زارها، ليس فقط من الناحية التاريخية ولكن من الناحية الحضارية أيضا. ولقد بدأ يوسف خان كميل بوش رحلته بالسفر إلى إنجلترا في مارس 1837م ، كما زار باريس وأسبانيا، وعرج في طريقه على مصر وشرق الهند ، وانتهت رحلته هذه في أواخر عام 1838م. ولقد كان كالعين الراصدة يسجل الأحوال والأماكن والأوضاع الجغرافية وحضارات المجتمعات المختلفة وأساليب الحياة والعادات والتقاليد والسكن والأماكن التاريخية وتفاصيل الوقائع مبديا رأيه في الكثير من المواضع.

خريطة

توضح خط سير رحلة يوسف كمبل منذ خروجه من الهند وحتى عودته إليها(11):



يكتب "تحسين فراقي" موضحا خصائص هذه الرحلة قائلا:
(لم يعرض فقط الأماكن التي تستحق المشاهدة؛ بل قام أيضا بعرض طريقة معيشة الناس هناك: العجائب والغرائب، والأماكن التاريخية هناك، والعادات والتقاليد، والمجتمع والحضارة، كل هذا قام بعرضه بصورة شيقة وجذابة)(12).
كذلك عقد كمبل بوش العديد من المقارنات سواء الدينية أو بين العادات والتقاليد، وطرق العيش ومظاهر الحضارة في البلدان التي قام بزيارتها.
كذلك يحوى كتابه العديد من المواقف الكوميديّة المضحكة التي مر بها أثناء سفره، كما استخدم الجمل المزاحية والفكاهية، ومن ذلك واقعة حدثت له أثناء سفره لمصر حيث كان متجها من القاهرة إلى السويس فوقعت رجل الحمار الذي كان يمتطيه في حفرة، يحكى ذلك قائلا:
(.... وعند رحيل السيد الرئيس قام بتبديل حماري السريع مع حماره البطي، فاضطرت أن أوافق، وتقدم هذان الرجلان بسرعة ومشينا نحن مع الجمال، وعندما حل الليل وخيم الظلام الدامس تعثر حماري في هذا الليل في حفرة، فوقعت أنا بالطبع من عليه ومعى السيف والبندقية، وبدأ العرب الذين كانوا معى بالسؤال عن حالى، وكنت بالطبع لا أعرف اللغة العربية، ففى كل وقت وفى كل حال أقول "طيب طيب" وتعنى هذه الكلمة "خيرا خيرا"، وقد قلتها وأنا فى هذه المصيبة،

فعندما سمعوني ضحكوا كثيرا وقاموا بإخراجي من الحفرة....⁽¹³⁾ أما عن أسلوب الكتاب فيمكن أن يقال إن النثر الأردني قد تخطى العديد من المراحل في طريق تطوره حتى عصر كمبل بوش، حيث بدأ ينحو نحو السلاسة والمرونة والسهولة بعدما عدل في معظمه-عنا أسلوب الصعب والمعقد، وظهرت بعض النماذج الممتازة للنثر الأردني تحت إشراف كلية "فورت وليام" مثل قصة "باغ وبهار" * لمير أمن الدهلوي، والتي تمثلواحدة من أهم مراحل تطور النثر الأردني. إضافة إلى ذلك فقد ظهرت أيضا قصة "فسانهء عجائب" * لـ"رجب علي بيگ سرور" عام 1825م، وأسلوب هذه القصة ملئ بالسجع والقوافي. وهكذا كان هناك أسلوبان مختلفان من قصص النثر الأردني أمام "كمبل بوش" يتمثل النموذج الأول في "باغ وبهار" بسلاستها ومحاوراتها، ويتمثل النموذج الثاني في "فسانهء عجائب" بنثرها المختلط بالفارسية⁽¹⁴⁾.

وبالنظر إلى "تاريخ يوسفى" نرى أن "كمبل بوش" استفاد من الأسلوبين في مواطن كثيرة، ولكننا سنلاحظ أن خط الكتابة لم يكن قد استقر تمامًا، فسجدته يستخدم الهاء المنطوقة مكان الهاء الثقيلة أحيانا، مثل كلمة: كدها يكتبها: كدبا وغيرها. يقول د. سمير عبد الحميد موضحا أسلوب "كمبل بوش":
".... أما لغة الرحلة فجاءت في فترة شهدت تطور النثر الأردني ورقبه على يد أدباء من أمثال مير أمن وغالب وغيرهما، ولهذا يتصف أسلوب يوسف خان في رحلته هذه بالسهولة والسلاسة، وهو أسلوب مقفى ومسجع، وقد استفاد الكاتب كثيرا من تضمينه للأمثال والأقوال الشائعة بين الناس آنذاك، مما جعل كتابه نموذجا رائعا لما كان عليه النثر الأردني في القرن التاسع عشر الميلادي، كما أن ذكره للتفاصيل الدقيقة والأحداث الشيقة جعل رحلته تبدو وكأنها حكاية أو قصة، وهذا من خصائص أدب الرحلة"⁽¹⁵⁾.

ولقد قام "كمبل بوش" بتزيين نثره ببعض الأشعار الأردنية والفارسية لكبار شعراء اللغتين، وقد جاءت في موضعها ولم تؤثر على سلاسة الأسلوب، ومن هنا يمكن أن نستنتج أن "كمبل بوش" كانت لديه الملكة التي تمكنه من استخدام الشعر بطلاقة في أي وقت وفي أي مكان، وكان يعرف كيفية قرص الشعر بالفارسية والأردنية.

مجمل القول إن أسلوب الكاتب كان سهلا سلسا في مجمله، يقول "تحسين فراقى":

"إن أسلوب كمبل بوش لم يكن معقدا أو صعبا، بل كان واضحا وسلسا، ويخلو من الغموض. وبالقدر الذي كان يتصف به كمبل بوش من البساطة، والظرف، والوضوح، بقدر ما اتصف أسلوبه بالعمق...."⁽¹⁶⁾

الدراسة التاريخية والفنية لكتاب عجائبات فرنگ

يعتبر أدب الرحلات واحداً من أجمل أنواع الأدب، إذ إنه يعكس كل ما صادف الرحالة عبر رحلته كلها ووثقه، حيث إن الكاتب أو الرحالة ينقل كل ما رآه خلال رحلته ويصف الأماكن التي زارها كما يصف عادات الشعوب وأهلها، وينقل معظم المواقف التي تعرض لها خلال رحلته التي قام بها. وكتب الأدب الخاصة

بالرحلات هي من المراجع الجغرافية كما أنها تعد مراجع تاريخية مهمة إذ إنها تصف -وبشكل دقيق إلى حد بعيد-التفاصيل التي عاشها الرحالة وعاصرها خلال سفره. ومن هنا أيضاً استمدت كتب الرحلات متعتها حيث إن كل من يقرأ كتب الرحلات يشعر بالمتعة الكبيرة؛ إذ تجعله يشعر بأنه عاش في تلك المدينة في تلك الفترة، فهي بمثابة فيلم سينمائي مصور يصف بشكل دقيق كافة التفاصيل⁽¹⁷⁾. وسنقوم في هذا المبحث بعرض مشاهدات يوسف كمبل في رحلته إلى مصر، كما سنقدم عرضاً لأسلوب الكاتب الأدبي، لأننا يجب أن نتذكر دائماً أننا نتحدث عن صنف من صنوف الأدب وليس كتاباً تاريخياً يعرض لنا الأحداث كما هي. وسائل النقل والمواصلات:

كانت النتيجة الطبيعية المترتبة على حركة العمران التي شهدتها مصر في عهد محمد علي⁽¹⁸⁾ هي تطور وسائل النقل الداخلي. فكانت الخيول والحمير والبغال هي الوسيلة الأساسية للتنقل داخل المدن، وكانت العربية الحنطور هي وسيلة المواصلات المتوفرة آنذاك لنقل الركاب الموسرين من مكان إلى آخر، وكانت هناك مواقف انتظار مخصصة للحمير والجمالين؛ أشهرها: كان الموقف القابع عند فندق شبرد لنقل النزلاء والتجول بهم داخل شوارع المحروسة. ويبدو أن هذا الأمر استهجنه الكاتب؛ لأنه اعتبره إقلاقاً للقيمة، ولكنه رضخ لما تم التعارف عليه في مصر في ذلك الوقت، يقول:

(...وفي الثالث عشر من فبراير عام 1838م وصلت سفينتنا إلى الإسكندرية، ونزلت من السفينة مع أصدقائي وأحبائي واتجهنا إلى المدينة، وكان هناك على شاطئ البحر أولاد يقفون مع حمير للأجرة، ويُرَكبون عليها كل رذيل وشريف. في البداية كره كل شخص هذه الوسيلة، ولكن حسب كل دولة وتقاليدها قبلنا في النهاية الركوب على الحمير....)⁽¹⁹⁾

ولكن يبدو أن العربية الحنطور التي كانت وسيلة المواصلات التي كان يركبها الموسرون ويتنقلون بها لم يكن لها موقف عند الميناء، أو أن الكاتب لم يستدل هو ورفاقه عليه؛ نظراً لأن الحنطور كان الوسيلة الأكثر رقياً في تلك الفترة من عام 1838م.

في المثال السابق نرى أهمية العادات والتقاليد التي تحكم الكاتب في نظريته إلى وسيلة المواصلات التي يركبها، ويظهر هذا جلياً من خلال استخدامه للتضاد بين كلمتي: " رذيل و شريف". كما يظهر من خلال قوله " وقبلنا في النهاية " أي أن هذا القبول جاء رضوخاً للعادات والتقاليد وليس عن طيب خاطر.

في البداية نلاحظ حضور الشخصية المركزية الساردة من بداية النص إلى نهايته. ومن الضروري أن نلفت النظر إلى أن بعض أنماط الرحلة -الرحلة السفارية أو الدبلوماسية على سبيل المثال- لا تتردد في نسبة الرحلة إلى ساردها بالرغم من وجود "شخصية" صاحب السفارة أو رئيس الوفد المسافر إلى الخارج. وعادة ما يكتفي السارد - الشخصية المركزية - بالإشارة إليه ، باسمه الصريح، في ثنايا الديباجة الافتتاحية للرحلة، أو - من ناحية أخرى - بإدماجه - كما سيوضح بعد قليل - تحت عباءة ضمير الجمع في الحل والترحال⁽²⁰⁾.

نلاحظ إذن حضور الشخصية المركزية في المتن الرحلي وهو الكاتب نفسه

– وإلى جانب المساحة القولية العريضة التي يشغلها هناك دوره في صنع أحداث الرحلة ، وتنظيمها في مسار معين ، كما يتضح دوره في التأويل من جهة وتوزيع مناطق الكلام والحدث [الفعل] على باقى الشخصيات المرافقة للرحلة، من جهة ثانية. فهو الذى يخبرنا بمشاعرهم النافرة من الأداة المستعملة فى الارتحال.

كما تتضح خصوصية السارد من حيث مرجعيته الثقافية؛ حيث تظهر "استراتيجيته" الخاصة أثناء تقديمه للمرئيات من نفور واشمئزاز شديدين من وسيلة الانتقال التي يعتبرها هو ومن معه تقليلا من شأنهم.

وتظهر أيضا خصوصية السرد عند الكاتب من خلال طريقته فى التعامل مع هذه الوسيلة كلما مرت به فى أثناء رحلته فى مصر، فهي أحيانا تنبنى على النقد كما فى المثال السابق - وأحيانا على السخرية من المواقف التي يتعرض لها هو ومن معه أثناء ركوب الحمير. ومما يمثل به للمنهجية الثانية قوله:

(....وعند رحيل السيد الرئيس قام بتبديل حماري السريع مع حماره البطئ، فاضطرت أن أوافق، وتقدم هذان الرجلان بسرعة ومشينا نحن مع الجمال، وعندما حل الليل وخيم الظلام الدامس تعثر حماري في هذا الليل فى حفرة، فوقعت أنا بالطبع من عليه ومعى السيف والبندقية، وبدأ العرب الذين كانوا معى بالسؤال عن حالي، وكنت بالطبع لا أعرف اللغة العربية، ففى كل وقت وفى كل حال أقول "طيب طيب" وتعنى هذه الكلمة "خيرا خيرا"، وقد قلتها وأنا فى هذه المصيبة، فعندما سمعونى ضحكوا كثيرا وقاموا بإخراجي من الحفرة....)(21).

ومن أعمال محمد على الجليلة شق ترعة المحمودية (ترعة الإسكندرية القديمة أو خليج الأشرفية) وكانت الأتربة والرمال قد طمرتها، فشرع فى حفرها وجعل فتحتها من العطف بعد أن كانت الترعة القديمة تأخذ مياهها من الرحمانية، ولم يجعل فتحتها عند الرحمانية لما كان بها من تراكم الردم والرمال.

وقد عني بفتح هذه الترعة عناية كبيرة، فكان يتعهد الأعمال فيها بنفسه، وبذل همة عالية فى سبيل إتمامها، وكان غرضه من شقها إحياء الأراضى فى مديرية البحيرة، وجعل الترعة طريق المواصلات النيلية بين الإسكندرية وداخل البلاد، وكانت المواصلات من قبل عبر طريق رشيد، ولكن صعوبة اجتياز البوغاز كانت تعطل المواصلات من هذا الطريق، وكان ذلك من أهم البواعث التي حفزت محمد علي باشا على حفر الترعة، وقد عهد بتصميم حفرها إلى مهندس فرنسي، هو المسيو كوست. ولما تم حفرها افتتحها فى 24 يناير سنة 1820م.

وقد اقتضى حفر هذه الترعة بذل مجهودات هائلة ومتاعب جسيمة وضحايا كثر احتملها المصريون، واحتسبوا فيها وصابروا وصبروا. وقد كتب المسيو مانجان، الذى كان شاهد عيان لحوادث مصر فى ذلك العصر، أنه مات من الفلاحين الذين اشتغلوا فى حفر ترعة المحمودية اثنا عشر ألفا فى مدة عشرة أشهر، وأن هؤلاء الموتى دفنوا على ضفتي الترعة تحت أكداس التراب الذى كانوا يرفعونه من قاعها، وقال إن معظمهم مات من قلة الزاد والمؤونة أو من الإعانات فى العمل، وكذلك من سوء المعاملة التي كانوا يلقونها من الجنود القساة المنوط بهم حراستهم، فقد كانوا يجبرونهم على العمل المهلك دون انقطاع ولا هواده من الفجر إلى الليل، وقال إن عدد من اشتغلوا فى حفرها بلغ 313000 من الفلاحين جئ بهم من

مديريات البحيرة، والغربية، والشرقية، والدقهلية، والمنوفية، والقليوبية، والجيزة. وقد أتت هذه الترععة بثمرات عظيمة، فمن جهة المواصلات صارت تجرى فيها السفن بين الإسكندرية والداخل تحمل حاصلات البلاد أو وارداتها، وكانت سببا في عمران البلاد التي مرت بها فإقليم البحيرة وإحياء أراضيها، وأفاد عمران الإسكندرية منها فائدة كبيرة، إذ جعلتها الترععة ملتقى التجارة الذاهبة إلى داخل البلاد أو الآتية منها، فاتسعت حركة التجارة والعمران فيها، فضلا عن أن مياه الترععة قد ساعدت على الإكثار من الزرع وغرس الأشجار والحدائق في ضواحي المدينة، فانتسح نطاق العمران، وابتنى الأغنياء القصور وأنشأوا البساتين على ضفاف الترععة في جهات كانت من قبل مقفرة جرداء⁽²²⁾.

الكاتب يمتدح هذا العمل الجليل، ولكن لا علم لنا من أين جاء بأن من بناها هم الساقطات والرجال الذين يتم الإمساك بهم، فجميع المصادر المكتوبة في تلك الفترة تؤكد أن من بناها -كما أسلفنا- هم الفلاحون المصريون، وهم من دفع النفيس والغالي في سبيل إنجازها يقول:

(...وفي الخامس عشر من فبراير 1838م ذهبنا أنا والسيد المحترم والسيد "هل" إلى مدينة المحمودية بعد أن ركبنا السفينة التي تذهب إلى مصر. والآن أحكى لكم القصة: رحلت السفينة في ترعة المحمودية، وقد كانت في السابق نهرا، وأمر "محمد علي" بحفرها في عهده، حيث كان يتم الإمساك بالرجال والساقطات بكل ظلم وجعلهم يعملون في حفر النهر. وفي سبعة أيام تم حفر الترععة من الإسكندرية إلى المحمودية، حيث إن المسافة من هنا إلى هناك كانت ثمانية وأربعين ميلا. وقد قضى حوالي ستون ألف إنسان نحبهم في هذا العمل الشاق الذي كان لا ينقطع ليل نهار، والآن السفن تأتي وتذهب في هذه الترععة....)⁽²³⁾

هنا سنلاحظ اختلاف مستوى السرد عن سابقه الخاص بوصف مشاهد ركوب الحمير، فقد تغيرت البنية السردية لتصبح مليئة بالمعلومات من ناحية، ومليئة بالشفقة والتعاطف من ناحية أخرى مع العمال الذين عملوا بالسخرة في شق الترععة. إلا أننا سنجد مستوى سرد ثالث ملئ بالاستحسان عندما يتحدث عن البحارة المصريين:

(... والملاحون العرب أمهر من الملاحين الهنود، ويرتدون زيًا واحدا من الرأس إلى القدم ويلفونه وقت قيام المركب، ويقومون بطيه حول الوسط وقت قيادة السفينة....)⁽²⁴⁾

فنجده يستخدم كلمة مهرة لوصف البحارة العرب، هذا من جهة ومن جهة أخرى استخدم المقارنة لتقريب الصورة أمام قرانه الهنود. وسنجد أن الكاتب يعول على بنية المفارقة هذه في كثير من المشاهد، لتقريب صورة ما هو غائب عن قارئه بالاعتماد على ما هو معروف لديه. وسنعرض لهذه الآلية كلا في موضعها.

الطرق:

اهتم محمد علي بتمهيد الطرق البرية، وبناء أسطول في البحرين الأحمر والمتوسط، وإصلاح الموانئ وخاصة ميناء الإسكندرية. إلا أن الكاتب رصد مشاهد من داخل أحياء الإسكندرية والقاهرة تحدث فيها عن ضيق الشوارع وعدم قدرتها

على استيعاب قاطنيها، والمسافرين الذين يحضرون إلى تلك الأماكن أيا كان الغرض يقول:

(.... وكانت الحارات والطرق ضيقة للغاية، وكان المارون كثيرين....) (25)
كذلك قدم لنا صورة عن الطريق من القاهرة إلى السويس، وكذلك من السويس حتى جبل الطور ودير سانت كاترين، حيث كانت هذه المناطق مازالت غير مأهولة، والطرق إليها جبلية وعرة ، فلا ننسى أن قناة السويس لم يكن لها وجود بعد، وكذلك المناطق التي استحدثت بعد إنشائها فمما قاله في ذلك:
(....فكنت أخشى أن سفينة دودي قد تغادر السويس، وكنت مترددا. واصلنا السير حتى وصلنا إلى الصحراء الجرداء حيث الرمال، فأكلنا جميعا ثم خلدنا إلى النوم. ثم استيقظنا صباحا والطريق كان موحشا للغاية، ولم نرَ أي أثر للطعام أو الشراب، وكنا نقطع الطريق بصعوبة بالغة....) (26)

(...ومن منطقة الطور حتى جبل الطور يستغرق السفر أربعة أيام، وبسبب سرعتنا ومشينا طوال النهار فقمنا بقطع المسافة في ثلاثة أيام، وواجهنا طرق جبلية ضيقة حيث إنه لا يستطيع أن يمشي فيها جملان في آن واحد. بل إنه لا يستطيع أي حيوان دون الجمل أن يمشي في هذه الطرق الوعرة....) (27)

(.... وكان الطريق كله جبلياً والمحن والشدائد فيه لانهاية لها....) (28)
نلاحظ من الأمثلة السابقة الطريقة السردية التي يكتب بها يوسف كمبل والتي تعتمد على إثارة مشاعر التعاطف لدى قارئه من خلال استخدام كلمات مثل: المحن، الوعرة، موحشا.... إلخ. ومن خلال بعض الجمل مثل: ولم نرَ أي أثر للطعام أو الشراب، وكنا نقطع الطريق بصعوبة بالغة... إلخ.

ورغم أن أدب الرحلات يقوم على أبعاد واقعية وتاريخية محددة ، لكن التركيز عليها وحدها يجعلنا نختزل هذا النوع من الأدب في مطابقة بسيطة بينه وبين الواقع، ويجعلنا نغفل أبعاده التعبيرية وطرائقه السردية، لذا عندما ننظر للأمثلة السابقة من وجهة أدبية فسنجد لدينا فعلاً أو حدثاً قابلاً للحكي (وهو هنا السفر ، وعبور جبل الطور) ثم الفاعل وهو كاتبنا ورفاقه ، وزمان الفعل المتمثل في دلائل الزمن مثل (أربعة أيام، وصباحاً، وثلاثة أيام... إلخ) وفي النهاية مكان الحكي أو فضائه وهو هنا الصحراء القاحلة وجبل الطور. ومن التقسيم السابق سنلاحظ أن الكاتب يقدم صورة تمثيلية معادلة لضيق الطريق من خلال تصوير الجمال التي لا يمكنها العبور سوى واحدٍ تلو الآخر ، وكذلك الصورة التعبيرية التي تشعر النفس بالانقباض والخوف والتمثلة في الطريق الموحش.

التجارة:

عند حديث كمبل بوش عن التجارة، في البداية قدم وصفا لسفن الإنجليزية التي تنقل البضائع من وإلى ميناء الإسكندرية. وكان لإصلاح ميناء الإسكندرية فضل كبير في هذا الصدد. كما أن محمد علي بسط سيادة مصر في البحر الأحمر وظهره من القرصنة، ومدّ طريقاً لسيير قوافل التجارة بين السويس والقاهرة وأنشأ به المحطات وبسط الأمن في مراحلها لتأمين القوافل على تجارتها، وكانت التاجرة القادمة من البحر الأحمر ترسل من السويس إلى النيل ثم إلى الإسكندرية فأعاد بقدر المستطاع

سبيل المواصلات القديم بين الشرق وأوروبا عن طريق مصر. وقد لفت هذا الطريق أنظار الشركة الهندية الإنجليزية ورأته أمناً وأقصر من طريق رأس الرجاء الصالح وطريق البصرة والفرات وحلب والإسكندرونة، فاتفقت مع الحكومة المصرية على نقل طرود البريد والمسافرين عن طريق السويس⁽²⁹⁾. ويبدو أن يوسف كمبل قد شاهد أحد هذه السفن أثناء انتقالها في النيل من القاهرة إلى الإسكندرية، يقول:

(....) ولاحظت أمرًا غريبًا، فالسفينة التي تحمل علمًا إنجليزيًا لا يتعرض لها أحد.... وفي المحمودية تتم التجارة بكل شيء، فالناس يبيعون الأشياء ويشترونها حيث إن البيئة مهياة التجارة...⁽³⁰⁾

(....) وهذه البلدة هي مكان مهم للتجارة في مصر وقريبة من البحر، حيث تأتي سفن العرب الصغيرة من الخليج وتشتري البضائع من أجل بيعها في مكة وجدة وتحضر معها البضائع من أجل بيعها هنا...⁽³¹⁾

وبعد أن وصل يوسف كمبل إلى القاهرة بدأ يقدم لنا وصفا لأحد الأسواق التي زارها:

(....) وذهبتا لكي نشاهد السوق، وكل دكان وحارة للأشياء المعروضة للبيع والشراء -كانت مثل ما يوجد في "بنارس" -لكن هنا في بناء السوق توجد صورة أخرى وهي أنه في وسط الدكاكين يوجد سقف من السعف والأعشاب الجافة والتي تحمي وسط السوق من المطر والتراب. ومحلات الحلويات والأطعمة مليئة بالناس مثل الهند. وفي دكاكين الخبازين يوجد العرب والأتراك الذين يأكلون الخبز وهم فرحون. وبائعو التمر الجاف جالسون في المحلات ويبيعون التمر الجاف، وعندما ازدحام من الذباب. وفي الطريق هناك البضائع موجودة في كل مكان مثل الهند تماما حيث لا تستطيع العربات التي تجرها الأحصنة أن تمر، وعربة ملك مصر تعبر فقط من بعض الطرق بصعوبة. وأما الجزارون فكانوا يرتدون الملابس المتسخة ويبيعون اللحم المغطى بخرقة متسخة...⁽³²⁾

كانت تجارة الرقيق منتشرة، وخاصة بين مصر والسودان، وكانت توجد في القاهرة بيوت خاصة لبيع الرقيق، فكان يرتاد هذه البيوت من يريد اقتناء الجوّاري أو المماليك أو العبيد، وقد زار كمبل بوش أحد هذه الأسواق وقدم صورة عنها، يقول:

(....) ثم ذهبت إلى السوق الذي يباع فيه العبيد والجوّاري. فتجار العبيد يبيعون الجوّاري علانية جهارا ولا يخافون حاكما ولا حراسا، والجوّاري اللاتي يبدو أنهم جميلات وعمرهن صغير يتم إخفاؤهن في مكان ما، والذي يعرفون أنه صاحب سلطة ومال يقومون بأخذه إلى هذا المكان، أما الباقي فيتم بيعهن علانية في السوق. فالناس يقومون بالتحديق والتدقيق ثم يشترون، فيتغير حال هؤلاء المساكين بأيدي هؤلاء الظلمة، وبسبب الجوع والفقر الذي هم فيه، فلم يتبق شيء من أجسادهم سوى الجلد، والجسد كله يكون عريانًا. وكنت أرتدى ملابس إنجليزية بيضاء، وأظهرت لهم أنني أريد شراء جارية جميلة، فأخذني التجار إلى هذا المكان الذي يخفون فيه الجوّاري الجميلات، وكان شكلهن كلهن مثل الحوريات، لكن بسبب أذى هؤلاء الظلمة والفقر والجوع أصبحن هزيلات ونحيفات، والكل ينظرن إليّ ويشيرن بكل ضعف وتذلل حتى أشترينهن. وعندما نظرت لحال تلك الجميلات أصابني الغم

والحزن للغاية، فخرجت وإن كان لدي القدرة فإنى أقسم بالله أننى كنت اشتريتهن كلهن من هؤلاء الظلمة غير الأتقياء وقمت بتحريرهن كلهن، لكننى مسكين من أين أتى بكل هذه النقود. ولم يكن بمقدوري سوى النظر إليهن نظرة بائسة، وتعجبت للغاية فما هو سبب كثرة هذه الجوارى؟! فأخبرنى الناس أن البلد التى يقوم "محمد على" ملك مصر وحاكمها بفتحها يتم إحضار سيدات هذه البلاد ورجالها، ويتم تقسيمهم على الجيش بدلا من إعطائه مرتبات، فيقوم كل جندي ببيعهم على الفور في هذا السوق لهؤلاء التجار، ويثمن بخس، ويقوم هؤلاء ببيعهم تدريجيا فيزيد سعرهم. وكنت أستبعد عن حكمة ملك مصر أن يظلم رعاياه بهذه الشدة، ولا يخاف من الله بالرغم من ذكائه الشديد، وأنا أتعجب كيف أن سلطانه قائم بالرغم من هذا الظلم والقهر.....⁽³³⁾

في مثال وصف السوق السابق عاد الكاتب لتقنية المقارنة، حيث بدأ يرسم صورة للسوق المصرى عارضا أمام قرائه صورة سوق بنارس لترتسم الصورة مجسمة ومجسدة أمامه.

كذلك عرض لنا تجربة إنسانية نتخطى فيها حدود حالتنا الفردية الخاصة، ليعطينا لمحة عن أبعاد تجربة الرقيق في السوق الذى يضمهم، ومن ثم يجعلنا نتعاطف معهم مما يؤثر على حكمنا على ما كان يحدث. فنحن نعلم أن مسألة أخذ الرقيق لم تكن قاصرة على الجيش المصري بل كانت سمة ذلك العصر حتى تم إلغاؤها تماما.

كما أن الكاتب قد نقل لنا إحساسه بالتعاطف والترقب عندما ادعى أنه يريد شراء إحدى الجوارى بدافع الفضول لدخول خيمتهن. كذلك أعطى لنا من خلال هذه الحيلة الفرصة لنستكشف ذلك العالم وكأننا أمام عمل روائي متكامل؛ ونعنى بها هنا استثمار اهتمامنا بشأن الكيفية التي مارس بها حبكتة الدرامية.

نهر النيل:

كان لنهر النيل تأثير عظيم على الحياة فى مصر، منذ عهد قدماء المصريين وحتى اليوم، وخاصة فيما يتعلق بالزراعة والمعتقدات الدينية. واعتمدت الحضارة المصرية على نهر النيل فى تيسير سبل الحياة من زراعة وانتقال، كما أن الممارسات الدينية كانت تعكس أهميته. وقد شعر يوسف كمبل بهذا الأمر وعبر عنه أثناء إبحاره فيه، يقول:

(.... وركبت من هناك سفينة فى نهر النيل واتجهت إلى مصر. ومياه النيل عذبة وهاضمة للطعام، بل إنها مثل الدواء الذى يقوى أعضاء الجسم؛ لهذا السبب أجد الناس هناك أقوى من الآخرين. وضاف النيل لونها كالزمرد الأخضر، وذكرتني هذه الضفاف المخضرة بنهر "الجنجا"، والحق أنه لم تكن خضرتة أحسن منه، ولا مياهه أحلى من مياهه....)⁽³⁴⁾

(.... وكان على ضفاف النيل تتجمع طيور كثيرة، فالذى يهوى الصيد فعليه أن يصطاد هنا ويشاهد النيل، فقامت باصطياد البط والأوز، واستمتعت بالنيل للغاية....)⁽³⁵⁾

نلاحظ عودة الكاتب لتقنية المقارنة والمقاربة من خلال تقديم صورة نهر

النيل مقارنة بنهر الجنج الذي يعد واحدا من أعظم أنهار الهند ، وكذلك هو النهر المقدس عند الهندوس لاعتقادهم أنه ينبع من عند قدم الآله. وهذه المقاربة تعطي صورة واضحة عن عظمة نهر النيل التي شعر بها الكاتب ووقعت في نفسه موقعا عظيما من الاستحسان.

العمران والأماكن الأثرية:

كانت الإسكندرية قبل عصر محمد علي لا يرى فيها على مرمى البصر سوى قلعة قايتباي وحي رأس التين، وكانت الإسكندرية في ذلك الوقت تحتوي على حيين اثنين فقط، هما: رأس التين والجمرك، أما باقي الإسكندرية شرقا وجنوبا وغربا فكانت عبارة عن صحراء من الرمال يتخللها مزارع خضراء كثيفة أو بحيرات شاسعة الاتساع. وقد سجل يوسف كميل العديد من مظاهر العمران هناك، ومن ذلك: (.... وظللت طوال الطريق أشاهد منظر المدينة وعلى أطرافها ظهر منزلان أو ثلاثة منازل لـ"محمد علي" ملك مصر، وكانت هناك قلعة قديمة وبها مدافع معطلة....) (36)

من الواضح أنه يشير لقلعة قايتباي وإن كان لم يسمها باسمها، كما تحدث عن عمليات التنقيب عن الآثار التي كان يقوم بها الفرنسيون في تلك الفترة بإذن من محمد علي، فمذ اكتشاف حجر رشيد وفك رموزه على يد شامبليون زاد الولع بالفراعنة والعصور المصرية المتعاقبة.

ففي عهد محمد علي (1805-1848م) بدأ يصدر المراسيم الخاصة ببيع الآثار وتنظيم حركة التجار الأجانب في الحفر والتنقيب، وبدأ يأخذ نسبة مما يستخرج من باطن الأرض يفرض عليهم الضرائب حتى إنه أهدى مسلة مصرية مازالت قائمة بميدان الكونكوردي بوسط العاصمة الفرنسية باريس مقابل برج الساعة بجامعه بالقلعة والذي لم يعمل منذ إهداء فرنسا له:

(.... وهناك قام الفرنسيون بحفر القبور بإذن من الملك محمد علي ... وبالرغم من أن هذه المدينة خربة للغاية فإن العمران كان يشير إلى ماضيها. واتضح من أكثر من دليل أن هذه المدينة كانت عامرة، ومبانيها كانت شامخة؛ وكان ذلك بسبب وجود شواهد الأحجار والطوب في عدة أماكن. وعمامة كان حجر المرمر يخرج من تحت الأرض، وقد تم إعداد وبناء عدة قصور للفرنسيين والإنجليز في هذه الأيام، وبقية الأماكن الأخرى هنا خربة ومهدمة....) (37)

ومن المظاهر العمرانية التي توقف عندها كاتبنا أيضًا أسوار القاهرة، فقد أحاطت أسوار القاهرة بالمدينة قديما ولا تزال أبوابها من أبرز المعالم حتى اليوم، وكانت هذه الأسوار من الأمور التي شاهدها كاتبنا أثناء رحلته ولاقت لديه استحسانا كبيرا، خاصة وأن هذه الأسوار المبنية حول مدينة القاهرة كانت تغلق ليلا لحمايتها: (.... وفي الثامن عشر من فبراير وصلنا إلى مصر* بعد مضي ساعتين من الليل، فشكرنا الله، وكان يوجد سور كبير حول مصر يحفظ المدينة، ويتم إغلاق بابه ليلا، وفي هذا الوقت لا يمكن لأي أحد الدخول إلى المدينة....) (38)

كذلك تحدث عن قلعة صلاح الدين، ومسجد محمد علي - وإن كان قد خلط بين القلعة والآثار الفرعونية ولهذا لم يسمها باسمها بل استنتجنا ذلك عندما تحدث عن

آثار دماء مذبحه المماليك الموجودة على حوائط القلعة- وهو مسجد مبنى على الطراز العثماني، على غرار مسجد أياصوفيا باسطنبول، بناه محمد علي باشا داخل القلعة. وقد شرع في إنشائه سنة 1246 هجرية 1830م على أطلال أبنية قديمة مخلفة من مباني المماليك وتمت عمارته في سنة 1265 هجرية 1848م. وإن كان هناك بعض اللبس لديه من الأقاويل التي يتناقفها عن العامة دون تأكيد فيخلط بينها وبين الآثار الفرعونية:

(...ثم بعد ذلك تقدمت في السير فوجدت مبنياً ملكياً تحت الإنشاء، وكل الأعمدة والأرض من حجر المرمر، فمن المؤكد أنه سوف يكون مبنياً جيداً للغاية بعدما ينتهي إعداده، حيث تم تجميع حجارة المرمر من أماكن مختلفة ومجموعة بعد بحث كبير، وكان هذا المبنى عظيماً للغاية....)(39)

وزخرت القاهرة في ذلك الوقت بالعديد من القصور النادرة واعتبرت جزءاً من العمارة في مصر تنطق بتاريخ أصحابها. فقد عني محمد علي بإنشاء القصور، منها قصر الجوهرة وقصر محمد علي بشبرا، ويبدو أن الكاتب قد زار أحد هذه القصور، ويمكن أن نستنتج أنه قصر الجوهرة لأنه رأى بجوار القلعة، وهذا القصر أحد القصور الموجودة في قلعة صلاح الدين الأيوبي بجانب جامع محمد علي، وقد تحول لمتحف، بني القصر أساساً ليكون مقراً لزوجته محمد علي باشا، وقد أنشأه عام 1814م. وحرص محمد علي باشا أن يكون هذا القصر على غاية الفخامة والأبهة. ففيه العديد من القاعات الكبيرة؛ أشهرها قاعة الاستقبال وقاعة الساعات التي تُعتبر أجمل ما في القصر. وقد زُين القصر بأرقى فنون الزخرفة العثمانية سواء بالخشب أو بالألوان الحصى. يحفل القصر بالبديع من الألوان والرسوم والنقوش. وبقي القصر يحتفظ بحظوته حتى حُول أخيراً إلى متحف للتراث الإسلامي. يقول الكاتب:

(... ثم بعد ذلك تقدمت في السير فوجدت مبنياً ملكياً تحت الإنشاء، وكل الأعمدة والأرض من حجر المرمر فمن المؤكد أنه سوف يكون مبنياً جيداً للغاية بعدما ينتهي إعداده حيث تم تجميع حجارة المرمر من أماكن مختلفة ومجموعة بعد بحث كبير وكان هذا المبنى عظيماً للغاية....)(40)

من الأماكن الأخرى التي زارها الكاتب سجن سيدنا يوسف عليه السلام، وهو عبارة عن سرداب طويل يربط بين قصر العزيز والهضبة الصحراوية؛ حيث سار يوسف الصديق مودعاً القصر إلى السجن، نحو 3 كم تقريباً تفصل بين قصر العزيز وسجن يوسف الموجود داخل منطقة آثار سفارة في قرية أبو صير. يبلغ طول ما تم الكشف عنه من السرداب حوالي 380 متراً، ووجد بداخله 24 تابوتاً منها 3 توابيت تحمل أسماء ثلاثة من الملوك، وهم: أحمس الثاني والفرعون خاباش الذي تزعم حركة النضال ضد الهكسوس، أما الثالث فيحمل اسم قمبيز، الحاكم الفارسي الذي احتل مصر (41)(42).

(...وبعدما رأيت هذا الحال ذهبت إلى سرداب حيث إنه قد قام فرعون عليه اللعنة بحبس "يوسف عليه السلام" فيه، وبابه مغلق دائماً، وكان معي حارس السيد الكبير؛ لهذا فتحت سيدة الباب ومعها مصباح وجعلتني أرى ما بالداخل، ورأيت أركانه الأربعة، والأرض كانت من الحجارة، وهذا السرداب مبني في صخرة ويوجد بوسطه بئر عميق....)(43)

كما زار يوسف كميل مسجد الإمام الحسين بن علي في القاهرة بمصر (44). وقد تحدث عن زيارته للمكان ، وعن الأشخاص الذين يذهبون هناك للتبرك ، ويبدو أن شدة لمعان الأعمدة الرخامية جعلته يعتقد أنها مصنوعة من الفضة، حيث قال: (... ثم بعد ذلك وصلنا إلى مكان مقبرة السيد "الحسين" رضي الله عنه، ويقول الناس إن رأسه الشريف مدفون هنا وكان بناؤه شامخاً للغاية، وأعمدته من الفضة وحولها القراء يقرءون القرآن، وأصحاب الحاجات يأتون ويطلبون البركة والمن....) (45) وقد زار أيضا بعض مقابر الفراعنة، اعتمد في مشاهداته هنا أيضا على الأقاويل ولم يتحقق مما سمعه عما رآه، بل إن لبسا شديدا قد حدث له عندما ظن أن هذه المقابر تضم مقبرة الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي يقع قبره في مدينة طوس (مشهد حاليا) الواقعة في إيران (46):

(... ولقد تقدمنا مسافة أربعة أميال تقريبا من مصر، فوجدنا عدة مقابر قديمة في الصحراء، وعندما سألت العرب أخبروني أن هذه مقبرة هارون الرشيد وعدة مقابر لعدد من الملوك الآخرين. ويبدو عليها أنها مبنية منذ مدة طويلة، ويبدو مبنائها متسعا وكبيراً من الأمام. لكن بسبب الاستعجال لم أتمكن من مشاهدتها جيدا....) (47)

من الأماكن الأخرى التي زارها الكاتب منطقة عيون موسى. وتقع واحة عيون موسى، والتي تضم 12 واحة، على بعد 35 كيلو متر من مدينة السويس، وتتوسط مدينتي السويس ورأس سدر، وتقع على بعد 165 كيلو مترا من القاهرة. سميت عيون موسى بهذا الاسم نسبة للواحة التي تفجرت منها 12 عينا للمياه الصالحة للشرب لنبي الله موسى تأكيدا لقول المولى عز وجل "وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ" البقرة: 60

وحاليا لم يبق من الأثنتي عشرة عينا إلا خمس فقط، حيث طمرت باقى العيون لعدم الاهتمام بها وصيانتها، فإدى ذلك إلى أن سكنت الطحالب وأشجار البوص بقية الآبار، ويوجد بجانب كل عين لافتة باسم العين وعمقها، ومن أسماء العيون (بئر الزهر والبئر البحري والبئر الغربي وبئر الشايب وبئر الشيخ وبئر الساقية وبئر البقاقة)، ولا يخرج الماء حاليا إلا من عين واحدة فقط هي بئر الشيخ (48). يقول يوسف كميل:

(.... وكان هناك بئر مياهه جيدة ولكنه كان على بعد ستة أميال تقريبا ، وكان اسمه بئر موسى* ومياهه عذبة وحلوة....) (49)

وزار يوسف كميل أيضا جبل الطور بسيناء؛ حيث زار المكان الذي يعتقد أن الله عز وجل قد كلم سيدنا موسى عنده، وهو المعروف بالوادي الأيمن ، حيث بدأ ينقل لنا ما سمعه من العرب عن هذا المكان ، وما به من معجزات حدثت لسيدنا موسى وبنى إسرائيل :

(... وكان اسم هذا الوادي هو وادي أيمن حيث إنه كان مكان بني إسرائيل وظلوا ينتهون فيه أربعين عاما، وتوجد على الجبال بعض الخطوط العربية والهندية* والعبرية، ويبدو أن هذه الخطوط لبني إسرائيل وتفكرنا في هذه الخطوط لكن لم يفهم أحد منا ما هو مضمونها أو موضوعها. وفي مكان ما ظهرت بعض قبور البدو....) (50)

(.... وأحد الجبلين الواقع على اليمين يحمل اسم الطور، وتوجد قلعة (51) مبنية على

هذا الجبل وهي عالية للغاية ولولا أنها عالية هكذا لسرقت أشياءها... (52)

(.... وارتفاع جبل الطور ثمانية آلاف قدم، وكان هناك درج قديم مبني من الصخر للصعود، ويتم الذهاب والإياب عبر هذا الدرج، ومعروف أن ملكا يونانيا قد أمر ببنائه منذ ألف سنة. وعلى جبل الطور يوجد حوض وعلى طرفه توجد شجرة سرو، وبالرغم من أن الحوض كان خاليا من الماء لكنني لم أر شجرة سرو قوية وطرية ومنتصبة مثل هذه الشجرة. ثم بعد ذلك تقدمت فرأيت كهفا ومياهه عذبة وحلوة مثل الشربات، فشربت منه ثم ذهبت هنا وهناك، ورأيت جبلا عظيمًا، ثم تقدمت قليلا فوجدت علامة لظهر سيدنا موسى في الحجر، وقصة هذه العلامة هي أن سيدنا موسى كان ذات مرة مشغولا بكتابة الأحكام الإلهية، وفجأة أضاء وميض نور فألصق سيدنا موسى ظهره بالجبل وقلق للغاية، ومن الإعجاز حفر شكل ظهر سيدنا موسى في الحجر... وكان على هذا الجبل أماكن للتعبد لليونانيين والمسلمين. وبعد ذلك رأيت المكان الذي فيه استسقى بنو إسرائيل سيدنا موسى، فقام سيدنا موسى بضرب الحجر بالعصا فانفجرت منه عين الماء، لكن الآن لا يوجد بها أي ماء، لكن هناك علامة تدل على ذلك، وكان يوجد مكان به أثر رأس العجل الذي عبده بنو إسرائيل... (53)

من العرض السابق تتضح لنا تقنية السرد التي اعتمدها الكاتب في تقديمه لمشاهداته الأثرية؛ إذ نجد تفاعلا شديدا بين ما شاهده يوسف كمبل وموروثه الديني في دلالة واحدة وقد اتضح هذا في تقديمه للأثار الباقية عن نبي الله موسى عليه السلام.

كما سنلاحظ بروز المخيلة السمعية عند الكاتب في خطابه، إذ استمد بعض ما عبر عنه من أحاديث دارت بينه وبين مرافقيه أو العرب المقيمين في الأماكن التي زارها ونستطيع الوقوف بوضوح على مواضعها بمقارنة مشاهدات يوسف كمبل بما ورد في كتب التاريخ والآثار.

كذلك يسوق الكاتب تصويره لما يراه؛ ليجعل قارئه يستكشف ما ينشده من رؤية هذه الآثار، بل ويشاركه انطباعاته وأحاسيسه وكأنه أحد الأفراد المرافقين له. أحوال الناس:

نقل يوسف كمبل طرفا يسيرا من أحوال الناس في مصر المحروسة إبان فترة زيارته لها، وكان جلّ ما استرعى انتباهه المتسولون، كذلك حال الفلاح المصري في تلك الفترة. وإن كان هناك جزء من الحقيقة فيما كتبه ولكن جانبه الصواب في أجزاء أخرى، فعندما يتحدث عن المتسولين فهذا أمر شائع خاصة في أماكن توافد المسافرين حتى يستدروا عطفهم، وهو أمر موجود في جميع بلدان العالم وليس حكراً على مصر وإن كان بنسب متفاوتة، يقول:

(.... ووصلت إلى أطراف مصر ونحن نشاهد، وهناك جاءت اثنتان أو ثلاث فتيات جميلات، وكانت حالتهم بائسة للغاية، ويرتدين الملابس القديمة ويطلبن الإحسان، وكنّ يجريين وراءنا فعطفت على هذا الجمال وحالتهم السيئة - ولم يعجبني سير هذه الورود في الأشواك فأعطيت لهن بعض النقود إحساناً، وودعتهم وقمن بالدعاء لى بلغتهم، ثم ذهبن وهن فرحات للغاية بالذى أعطيته لهن. وفي مصر يوجد السائلون والفقراء بكثرة حيث يصعب المشي في الطريق....) (54)

أما عندما تحدث عن القرى الخربة وهو في المركب المتجهة من الإسكندرية إلى القاهرة، تلك القرى الواقعة على ضفاف ترعة المحمودية، فرغم أنه عندما مر بها كما ذكر كانت خربة، إلا أنه بعد ذلك وكما ذكرت مصادر هذه الفترة ورغم ما قاساه الفلاحون في حفرها - كما يقول الجبرتي - فإن هذه التربة أصبحت سببا للعمران بعد ذلك. يقول عبد الرحمن الرافي:

(.... فإذا قرأت ما ذكره الجبرتي فارجع بفكرك إلى الماضي، واذكر أن الأراضي الواسعة والبلاد العامرة التي تمر فيها الآن ترعة المحمودية من منبعها إلى مصبها كانت صحراء قاحلة لا ينبت فيها زرع، ثم تحولت بعد حفرها إلى مزارع تزدهر بالحياة والعمران....) (55)

وهكذا فإن ما رصده يوسف كمبل عن الأراضي القاحلة كان بعد حفر التربة مباشرة، والسبب الذي ذكره - رغم اعترافنا بمظالم محمد علي - إلا أنه اهتم بالزراعة، وكما رصدنا فإن هذه الأماكن أصبحت بعد ذلك عامرة بأهلها من الفلاحين:

(.... وفي طريق التربة هذه ذكرتني القرى الخربة على أطراف المدينة بولاية "أوده"، فبسبب ظلم ملك مصر دُمرت الرعية بل وخربت القرى. ففي الطريق بأكمله شاهدت الأراضي الزراعية قاحلة؛ فالعاملون يفكرون في أمر الزراعة لكن الناس بسبب الخوف من العقاب والظلم والإجبار يتجنبون الزراعة. فالبرغم من أن ملك مصر ذو عقل وحكمة إلا أنه يظلم الشعب ظلما بينا وكل شخص رهن إشارة من يده....) (56)

كذلك قدم صورة عن المنازل في مصر كما رآها، فقال:

(.... وتوجد العمارات في مصر بكثافة حيث إن الأسقف كلها متلاصقة ببعضها البعض، فإذا صعد أحد ما على أي سطح فإنه يستطيع أن يمشى على باقي الأسقف بكل سهولة. وبسبب كثرة العمار والسكان، يكون فصل الصيف حارًا للغاية....) (57)

وقد تحدث عن المسيحيين الذين يعيشون في مصر، ورأى أنهم قساة القلوب، يأخذون من الدين ظاهره، كما أنهم يظهرون عكس ما يبطنون، يستوى في ذلك العامة والقساوسة وحتى الرهبان، ومن ذلك قوله:

(.... وعندما كنت أتمشي ذاهبا إلى هناك رأيت مريضًا موجودًا تحت البوابة، وبمجرد أن رأني سألتني بأن أخذه إلى مكان وأتصدق عليه باسم المسيح فهو غريب ليس هذا وطنه. فسألته: من أين أنت؟ وما هو دينك؟ فأخبرني أنه من بومباي، وأنه مسيحي وجاء مع أحد الأسياد ويعمل لديه، وقال: عندما وصلت إلى مصر أصابتنني الحمى والسخونة، وأخيرًا استأذنت من السيد بسبب مرضي وأخذت المال وجئت إلى هنا، وهنا لا يسأل عني أحد. فقلت له: إنني أؤمن بالديانة السليمانية وأعتقد بها وإنني مفلس وليس لدي نقود، فلتطلب من أهل ملتك وديانتك..... وكان قد جاء شخص مسيحي يقيم في السويس ويمسك في يده السبحة ويبدو أنه تقي ومتدين في دينه، ولقد زار قبر السيد المسيح في بلاد الشام، ويبدو أنه يتفوق ويعلو على أبناء دينه من حيث التقوى والطهارة والإيمان؛ حيث يبدو أنه كان مرفها وغنيا. وقد أشرت لذلك المريض بعيني لهذا الرجل، ليخبره عن حاله. اقترب الرجل وتذلل له، وقال: أنا مسيحي ومرضت في السفر، فافرق بحالي، واصحبني إلى المنزل وعالجني لوجه

الله. وبعدها سمع هذا قال له: أنتستطيع أن ترسم الصليب؟ فقام على الفور برسم الصليب على جسده، ووقع عند رجليه، فغضب كثيرا وقال له الكلام اللاذع، وتركه ومشى ولم يعطه أية نقود، فقط أفرط في الاعتداء عليه بالكلام. وهكذا الحال حيث مر الكثير من الأساقفة والأسياذ من هذا الطريق ويرونه هكذا ويتركونه ولقد سألتهم الإحسان جميعا ولكن لم يرأف به أحد، وقسوة قلب هؤلاء الناس تدل على أن عقيدتهم ليست صحيحة، فيدعي الآباء والأساقفة التدين بالدين المسيحي، لكنهم لا يوجد بباطنهم ذرة إيمان واحدة، وقد قال المسيح عليه السلام في حق هؤلاء بأن حالهم مثل حال القبر فمن الخارج ممهّد ومظهره جيد ومن الداخل لا يوجد إلا العظام الميتة، وهكذا أمتي يدعون أنهم يحبونني لكن في أنفسهم وباطنهم لا يهتمون بي والدين المسيحي دين جيد لكن سالكيه لا يعرفون طريقه....⁽⁵⁸⁾ وكذلك في وصفه لقساوسة دير سانت كاترين، حيث يقول:

(.... يبدو أن هؤلاء الناس إذا أعطيناهم بعض النقود سيبرون ويقومون بإطعامنا طعاما جيدا. فوافق السيد "برنكل" على كلامي، وأعطى واحدا منهم خمسة روبيات وفي هذا اليوم عند الظهر عندما تم وضع الطعام على المائدة كان هناك كل أنواع الطعام مثل اللوز والفسق والبيض والخبز والأرز، فقلت في نفسي سبحان الله يقولون بأفواههم إنهم تركوا الملذات واختاروا المكوث هنا، لكن قلوبهم لم تترك حب الدنيا، فبإعطائهم بعض الروبيات قاموا بإعداد الأصناف الغالية من الطعام ما عدا اللحم. وهذا يبين كذب ادعائهم الزهد، حيث إنهم يأكلون الفاكهة والطعام الذي به سمن، وإلا كيف أصبحوا سمانا هكذا؟ حيث كانت أجسامهم منفوخة كالخنازير البرية، وأصبحت طويلة وعريضة. والدليل الآخر هو أنني رأيت بعيني شخصا ما يحمل على كتفه وعاء مملوءا بالأسماك المطهية وقد أحضرها لهؤلاء الأساقفة وجلسوا في الخفاء يأكلون، وفي العصر اختبأت ورأيت مكان طعامهم، حيث كان كل منهم يأكل أنواعا من الأطعمة، ويشربون الخمر ويدخنون الشيعة....)⁽⁵⁹⁾ من الاستشهادات السابقة نرى أن الكاتب في أحيان كثيرة يقدم مشاهداته الانطباعية التي تصدر متأثرة بعواطفه ودون مقارنتها مع الصور الأخرى المقابلة لها، فهو عندما يتحدث عن المتسولات يقدم بناء التصويري بحيث يعتقد القارئ أو السامع أن مصر ما هي إلا مجموعة من المتسولين، وهذه الطريقة في البناء التصويري لدى الكاتب لا تقتصر على هذه الصورة فقط بل سنلاحظها في جميع الأمثلة السابقة.

كذلك يعتمد الكاتب على ما يمكن تسميته بعين الكاميرا، حيث يرسم بالكلمات صورة واضحة أمام قارئه وكان كلماته قد تحولت إلى عدسة فتوغرافية تصور المشاهد والأحداث كما نلاحظ في المثال الأخير الذي يصور فيه العمائر في مصر.

كذلك عندما قدم صورة القساوسة المسيحيين نلاحظ التهكم الصادر عنه مثلا في المثال الأول وهو يتحدث عن المسيحي المتدين الذي يحمل المسبحة ويتضح مدى قسوة قلبه، وفي المثال الثاني يرسم صورة كاريكاتورية تثير سخرية القارئ، عندما استخدم كلمات مثل: (أصبحوا سمانا هكذا؟ / كانت أجسامهم منفوخة

كالخنازير البرية / أصبحت طويلة وعريضة) وهكذا سيطر حب الفكاهة على الكاتب فقدم الصورة للقارئ ليثير سخريته وسخطه في أن واحد. كذلك نشعر وكأننا في رواية بوليسية وهو يتحدث عن تلصصه على رهبان الدير ليتيقن من ظنه في أنهم لم يتركوا ملذات الدنيا، بل إنهم مجرد مدعين، كذلك وهو يعدد أدلة الاتهام ضدهم ليبرهن على ما يقول.

العادات والتقاليد:

المصريون من أكثر شعوب العالم تمسكا بالعادات والتقاليد المتوارثة من قديم الأزل، ويبدو هذا واضحا جليا من خلال طقوس حياتهم اليومية وسلوكهم اليومي، بالإضافة إلى مظاهر الاحتفال بالأعياد والمناسبات المختلفة. وقد رصد يوسف كميل عددا من هذه العادات، وقد كان منها ما تعلمه المصريون من الأتراك، ومنها ما هو متعلق بالملبس وقد أوضح موقفه من هذه العادات، ولنستعرض الآن ما قدمه في هذا الشأن:

(.... لكن هناك أمر يستحق المشاهدة - وهو ما لم نره أو نسمع عنه في مكان آخر - وهو أن الأتراك والعرب يجلسون على المقاهي بالليل ويدخنون الشيشة، ويشربون الخمر، ويحكي لهم القصص النادرة. ولم يكن شرب الخمر منتشرا قبل ذلك، لكن انتشر في عهد "محمد علي"؛ لأن الملك وولي العهد يشربان الخمر علانية ويأخذانه معهم في السفر والحضر....) (60)

(.... وفي الطريق وجدت سيدات مصر، حيث تخرج السيدات الأغنياء بعدما يرتدين البرقع الحريري، والسيدات الفقيرات يرتدين برقع قماش ويمشين به. وبسبب البرقع هذا فإن أجسادهن كلها تكون مغطاة من الرأس إلى القدم فلا يظهر أي شيء، وتغطي العين بقطعة غمامة خفيفة، ويظهر الطريق واضحا منها، ورأيت بعضهن ترفع البرقع وتبرز وجهها للمارة. وكان جمالهن مثل جمال سيدنا يوسف، وأسلوب حياتهن مثل أسلوب زليخا. ، ولكن هناك عيب فيهن هو أن أجسادهن سمينة....) (61)

في المثاليين السابقين نلاحظ ميل الكاتب إلى الطريقة الدرامية في عرض الحدث، كما أنه يغالى في تحليل الظواهر التي أمامه ويظهر فيها ميلا شديدا إلى إصاق كل شيء بمحمد علي وذريته، ولعل هذا الأمر قد استقر داخله نتيجة مصاحبته للإنجليز الذين كانوا يكتنون كراهية شديدة لمحمد علي بسبب توسعته والتي اعتبروها تهديدا مباشرا لهم حتى تحالفوا مع باقى دول الغرب وقاموا بإجهاض مشروعه التوسعي.

كما أنه، رغم إعجابه بملابس المصريات وجمالهن، لم يفته في هذا المشهد التعبير عن انطباعه تجاههن، إذ عاب عليهن امتلاء أجسادهن، فقد حكّم ذوقه وثقافته على الآخر وانتقده من خلالهما.

الحمامات:

كان للحمامات العامة دور اجتماعي رئيسي وبارز في مصر الإسلامية حيث كان الجامع والسوق والحمام نواة رئيسية لنشأة أي مدينة إسلامية. والحمامات العامة من أهم المؤسسات الخدمية داخل المدينة الإسلامية حيث ترتبط بتاريخ التمدن

الإسلامي في مجال منشآت العمارة الإسلامية كما يرتبط الاستحمام بالدين الإسلامي، فالطهارة البدنية لها مكان خاص في فقه العبادات الإسلامية. وكانت مصر، كأى دولة إسلامية تحوى هذه الحمامات، وقد ذهب كاتبنا إلى أحدها وقدم لنا الوصف التالي:

(.... ثم قلت لمصطفى: إننى أريد أن أستحم فى أى حمام، فأخذني إلى حمام وكان به حوض مليء بالماء، والمياه تنبع من خلال نافورات، وكان هناك بعض الأتراك على الأطراف يجلسون ويمزحون، فالبعض يشربون القهوة، والبعض يدخنون. وقمت بخلع ملابسى حسب العادات المتبعة هناك، وبدأ خمسة أو ستة ممن يعملون فى الحمام بتدليك جسمي وهم يغنون غناءً لم أفهم مضمونه. ولكن عندما يضحكون أضحك معهم، وعندما يصمتون أصمت معهم. فقلت لمصطفى أن يخبرهم أن يقوموا بتدليك جسدي حسب عادات هذه البلاد دون أي تقصير، فلا مانع عندي من هذه العادة؛ ففي "الدين السليماني" كل شيء مرهون بالوقت: فكان هناك وقت كنت فيه في السفينة متنسحا، وهذا هو الوقت الذي أستحم فيه، فسوف أرضيهم وأكافأهم مكافأة كبيرة. وبمجرد أن قلت هذا قاموا بتدليك جسدي جيدا وقاموا بغسلي جيدا، وبعد أن انتهوا قاموا بأخذي إلى مكان به فرش نظيف ومحاط بالوسائد فأجلسوني فيه وألبسوني زياً قد وجدت الراحة فيه. وبعد لحظة أحضر ثلاثة أولاد أواني جميلة الشكل: في واحدة منها قهوة، وفي الثانية شربات، وفي الثالثة الشيشة. شربت القهوة والشربات ودخنت الشيشة، وقاموا بوضع عطر على ملابسى رائحته طيبة وقمت بإشعال أعواد البخور وأصبح الحمام جنة. مكثت هناك ساعتين ثم خرجت وأعطيت لمن يعملون في الحمام عدة روبيات....)⁽⁶²⁾

سنلاحظ في المثال السابق تكثيف للصورة، وعمق تعبيرى لطيف. كما نلاحظ تراكما شعوريا يختلط بالسعادة والانبهار بما تقدمه الحمامات في مصر من خدمة لمرتاديها. كما تظهر مهارة الكاتب في الانتقال بين مشاهد الحمام وأحداثه الجانبية كرافد من روافد السياق الأدبي والذي يجعل أدب الرحلات يخلع ثياب التاريخ ويرتدى ثياب الأدب بكل جدارة.

الأوبئة والأمراض والبيمارستان (مستشفى المجاذيب):

أسس محمد علي مدرسة الطب سنة 1827 إجابة لاقتراح الدكتور كلوت بك، وكان مقرها في أول عهدها بأبي زعبل لوجود المستشفى العسكري هناك من قبل، فأنشئت المدرسة بالمستشفى إذ كان أليق مكان فى ذلك الحين لإيواء المدرسة لتوافر وسائل التعليم الطبي والتمرين، والغرض منها تخريج الأطباء المصريين للجيش، ثم صار الغرض عاما بأن صار الأطباء يؤدون الأعمال الصحية للجيش وللبلاد عامة. واختارت الحكومة للمدرسة مائة تلميذ من طلبة الأزهر، وتولى إدارتها وإدارة المستشفى الدكتور كلوت بك، فاختار لها طائفة من خيرة الأساتذة الأوروبيين، ومعظمهم من الفرنسيين، يدرسون علوم التشريح والجراحة، والأمراض الباطنية، والمادة الطبية، وعلم الصحة، والصيدلة، والطب الشرعي، والطبيعة، والكيمياء، والنبات، وكان فيها أساتذة آخرون لتدريس اللغة الفرنسية للتلاميذ الأزهريين.

وأُلق بالمستشفى حديقة للنبات فيها كل ما تنب الأرض من العقاقير والنباتات النادرة. وبعد خمس سنوات من إنشاء المدرسة تخرجت المجموعة الأولى من تلاميذها، فوزعوا على المستشفيات وفيالق الجيش، واختير من بينهم المتفوقون على أقرانهم وهم عشرون، فأبقى منهم ثمانية في المدرسة في وظيفة معيدين للدروس، وأرسل الاثنا عشر الباقون إلى باريس لإتقان علومهم وإتمامها، فلما عادوا عينوا أساتذة في المدرسة.

ذكر المسيو مانجان أن عدد تلاميذ مدرسة الطب بلغ سنة 1837 140 طالبا و50 طالبا في مدرسة الصيدلة، ووصف مستشفى أبي زعل، فقال إنه احتوى على 720 سريرا، وأن غرفه منسقة تنسيقا بديعا، يتخللها الهواء الطلق، وتسودها النظافة؛ حيث عهد إلى مدرسي مدرسة الطب ملاحظة خدمة المستشفى فجمعوا بين التدريس وملاحظة المستشفى.

ثم نقلت المدرسة ونقلت معها المستشفى إلى مصر سنة 1837، واختير لها قصر العيني فصارت المدرسة والمستشفى أقرب إلى القاهرة، وأدعى إلى نشر التعليم الطبي ومعالجة المرضى⁽⁶²⁾.

كان لا بد لنا من هذه المقدمة لنعلم مدى التقدم الذي كان موجودا في مصر من الناحية الطبية، فلم نجد مصدرا أو مرجعا يتحدث عن تفتش أوبئة بعينها أو أمراض بأكثر مما كان معتادا في ذلك العصر، وذلك لأننا سنلاحظ أن يوسف كميل في رحلته بمجرد رؤيته لحالة أو واقعة يصدر تعميما عاما وكأن الشعب جميعه مصاب بما رآه. فمثلا ما إن يرى أحدا قد فقد بصره حتى يصبح جميع المصريين عميانا، وإذا رأى شخصا مصابا بالقمل أصبح جميع المصريين مصابين به، ولنستعرض هنا بعض هذه الصور المغلوطة التي قدمها:

(.... وفي اليوم الثاني ركبت الحمار وذهبت لكي أشاهد البلدة *، فوجدت الناس يرتدون الملابس الثقيلة والخشنة، وكان أكثرهم عميانا؛ وسبب هذا تقريبا هو أن الهواء يضرب بقوة في هذه البلدة فيطير الحصى والطين ويستقر في الأعين)....⁽⁶³⁾

(...ورأيت في المحمودية هذه مئات الرجال والنساء المصابين بالعمى، والكثير من الأولاد يجلسون بملابس متسخة واضعين أيديهم تحت الإبطن، ولا يوجد لديهم أدنى شيء من الأدمية. والقمل متفش في ملابس كل شخص بسبب الوسخ، لذا فالناس منشغلة بفقي القمل، وعندما رأيت هذا اشمازرت للغاية....)⁽⁶⁴⁾

(.... والمناطق والحارات ضيقة؛ لذلك غالبا ما يأتي الوباء هنا، وأغلب الناس هناك حالتهم سيئة ومزرية؛ فالبعض يقضون حاجتهم في الطريق بسبب الفقر والجوع ككلاب الشوارع في الهند، ومن رؤيتهم اشمازرت للغاية....)⁽⁶⁵⁾

كذلك قدم صورة بائسة لأحوال المرضى النفسيين الذين يعيشون في مستشفى الأمراض النفسية والعقلية، وإن كنت لم أجد من خلال المصادر والمراجع التي تتحدث عن هذه الفترة ما يؤكد المعلومة أو ينفىها من حيث حالة هذه المستشفى، لكن كل ما ذكر عن هذه الفترة من الناحية الطبية والعلاجية يشي بتقدم كبير، واهتمام بالمرضى، يقول يوسف كميل:

(....) وبعدها ظهر مبنى آخر وعنده دكان لبيع الخبز، فسألت لمن هذا المبنى؟ فأخبرني الناس أنه يتم تقييد كل المختلين عقليا الموجودين في المدينة في هذا المكان، والمسافرون الذين يمرون من هذا المكان يقومون بشراء الخبز من هذا الدكان ويقومون بإطعامهم. وقد اشترت أيضا الخبز من هذا الدكان وقد نويت أن أتى إلى هذا المكان، وعندما دخلت وجدت المختلين عقليا جالسين على الحصر مثل الكلاب، ومقيدين بالسلاسل من أيديهم وأرجلهم، وبسبب القذارة يوجد بملابسهم القمل، وعند كل واحد منهم توجد أصوات أزيز مجموعات الذباب، وأيضا في الناحية الأخرى توجد السيدات المختلات عقليا مكبلات بنفس الطريقة، وحالتهن نفس الحال المزرية. وعندما نظرت إلى حال هؤلاء الأسرى أحسست بالعبرة. وألقيت الخبز أمام كل منهم، ومن شدة جوعهم وضعوا الخبز في أفواههم بسرعة ابتلعوه مثل الكلاب. ويوجد لهم طعام مقرر من قبل الحكومة لكن لعدم أمانة الموظفين فإنهم لا يجدون قطعة خبز واحدة، وطعامهم رهن بمجيء المسافرين؛ فالمسافر الذي يكون رحيماً ويمر بهذا الطريق ويسمع بحالهم يذهب إلى هذا المكان ويطعمهم العيش، وإن لم يكن فإنه يسلك طريقه. وكان من بين هؤلاء شاب مهذب ومحترم تركي الأصل وعمره تقريبا أربعون عاما، وكان هو أيضا في هذه الحال المزرية فذهبت إليه وسألته عن حاله؟ فقال شيئاً ما بالتركية لكن لم أفهمه، لكن على كل حال فإن هذا الشاب عاقل وواع وتم وضعه هنا في هذا المكان دون وجه حق. وقد تأكدت أنه إذا عادى شخص ما شخصاً آخر فإنه يقوم بإعطاء الرشوة للقاضي لكي يثبت أنه مجنون، ويقوم بحبسه في هذا المكان، فأصابني الأسف والأسى على حال الشعب وعلى حال المختلين؛ خاصة وإنهم يعانون من كل هذا الظلم. لكن السيد الكبير الذي يسكن هناك لا يقول لملك مصر أي شيء عن أحوالهم، فمعظم الإنجليز التابعين له يمرون من هذا الطريق لكنهم لم يتكلموا بأية كلمة طيبة في حق هؤلاء المختلين عند ملك مصر بالرغم من أن الإنجليز ينوون ترفيه الشعب، ويريدون تنميته. فمن سينجى هؤلاء المساكين من هذه المصيبة فإن له أجراً عظيماً في الدنيا والآخرة. ولقد رأيت مكاناً للمختلين عقلياً في لندن، لكن كل شخص يجلس بكل احترام على كرسي مصنوع من حجر المرمر، ويرتدون ملابس قيّمة، وهناك أشخاص مخصصون من أجل خدمتهم، وأطباء لعلاجهم، وكل نوع من الدواء والغذاء موجود من قبل الحكومة والمكان نظيف لدرجة أن الذباب لا يستطيع أن يعبر من هناك. وعندما يشفى أحدهم فإنهم يرسلونه إلى بيته بكل سلامة، أو يتم تعيينه في الحكومة. ولكن هنا يحدث العكس، فإنه لا يسأل أحد عن هؤلاء المجانين، فإذا جاء أي مسافر فإنه يقوم بإطعامهم أي شيء حتى لا يبيبتون جوعى، ويظلون في المصيبة. وإذا شفى أحدهم بمعجزة من الله بدون أي دواء أو علاج فإنه لا سبيل له للخروج من هذا المكان. فالكلاب في لندن تعيش أفضل من هؤلاء المختلين، فإنها لا تجد أي عناء في الحصول على الطعام، فهذا حاكم غريب وموظفون أغرب حيث يقومون بظلم الناس ولا يوفرون لهم طعاماً.....⁽⁶⁶⁾

من خلال الأمثلة السابقة تتأكد لنا الأليتان اللتان أشرنا إليهما سابقاً؛ وهما الميل إلى الميلودراما والتي شهدناها وهو يتحدث عن العادات والتقاليد والآلية الثانية هي عقد المقارنات لتقريب الصورة لذهن قارئه.

وقد اهتم يوسف كمبل بالشباب التركي الذي شاهده في مستشفى الأمراض النفسية والعقلية لأنه يمثل نموذجا للظلم الذي يقع على الناس على يد القضاء -من وجهة نظره-، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يقدم صورة مأساوية عن الحياة في هذا المكان.

مذبحة المماليك المعروفة بـ (مذبحة القلعة):

تعد هذه المذبحة واحدة من العلامات المميزة في تاريخ مصر الحديث عامة، وفي عصر محمد علي وجه الخصوص، وسننقل في البداية ما كتبه "عبد الرحمن الرافعي" عن هذه الواقعة مختصراً، يقول:

(لما عاد محمد علي باشا من الوجه القبلي أخذ يجهز جيشا ينفذه إلى الحجاز لمحاربة الوهابيين، تلبية لنداء الحكومة التركية، وجعل يهيئ معدات الحملة في أوائل سنة 1811م ، وعقد لواء قيادتها لابنه أحمد طوسون باشا، وأعد مهرجانا فخما بالقلعة، للاحتفال بالباس ابنه خلعة القيادة، ودعا رجال الدولة وأعيانها وكبار الموظفين العسكريين والملكيين لشهود ذلك الاحتفال الفخم، وكان الترتيب أن يلبس طوسون باشا خلعة القيادة، ثم ينزل من القلعة في أبهته وموكبه مخترقا أهم شوارع المدينة ليصل إلى معسكر الحملة في القبة.

وكان مثل هذا الاحتفال من المواكب المشهودة التي تحتشد لها الجماهير، وقد دعا الباشا جميع الأمراء والبكوات والكشاف المماليك وأتباعهم لحضور الحفلة، فعد المماليك هذه الدعوة علامة الرضا من محمد علي باشا، وركبوا جميعا في زينتهم وكبكتهم، وذهبوا صبيحة ذلك اليوم إلى القلعة قبل الموعد المضروب لركوب طوسون باشا.

وقبل ابتداء الحفلة دخل البكوات المماليك على محمد علي باشا في قاعة الاستقبال الكبرى، فتلقاهم بالبشر والحفاوة، فأجابوه بالشكر، واعتذروا عن تخلف بقية إخوانهم الذين ما زالوا في الصعيد ولم يحضروا للاشتراك في الاحتفال، فقابل الباشا الاعتذار بالتجاوز والإعراب عن تسامحه وحسن مقاصده للمتخلفين، وتجادب هو وضيوفه أطراف الحديث هنيهة ثم ما لبث أن أذن مؤذن الرحيل، فقرعت الطبول وصدحت الموسيقى، فكان ذلك إعلانا بالتأهب لتحرك الموكب.

فاجتازت الباب طليعة الموكب، ثم رئيس الشرطة، ثم المحافظ ومن معه، ثم الوجاقلية، ولم يكد هؤلاء يجتازون باب العزب حتى ارتج الباب وأقفل من الخارج على حين فجأة إقفالا محكما في وجه المماليك، ومن ورائهم الجنود الأرناءوط، فلما رأى هؤلاء الجنود الباب قد أقفل، وكانوا عالمين بما تدل عليه هذه الإشارة، تحولوا عن الطريق في صمت وسكون، وتسلفوا الصخور التي تكتنفه وتعلوه يمينا وشمالا، وأخذوا مكانهم على الصخور والأسوار والحيطان المشرفة عليه، ولم يتنبه المماليك بادئ الأمر إلى أن الباب قد أقفل، واستمروا يتقدمون متجهين إليه، ولكن لم تكذب تلغته صفوفهم الأولى حتى رأوه مقفلا في وجوههم إقفالا محكما، وأبصروا الأرناءوط يتسلفون الصخور المشرفة عليهم، فتوقفوا قليلا عن المسير، وتضامت صفوفهم المتلاحقة بعضها إثر بعض، ولم تمض هنيهة حتى دوى طلق الرصاص من نوافذ إحدى التكنات، فكان هذا نذيرا بإنفاذ المؤامرة، ذلك أنه لم تكذب تلك الطلقات تدوى في

الفضاء حتى انهال الرصاص دفعة واحدة على المماليك وهم محصورون في هذا الطريق الغائر في الأرض، فالباب الضخم مقفل في وجوههم، والجنود الأرناؤوط من ورائهم، ومن فوقهم، وعن يمينهم، وشمالهم، يتناولونهم برصاص بنادقهم. لم يستطع المماليك الدفاع عن أنفسهم، ولم يكن لديهم الوقت ولا القدرة على الحركة، أو الرجوع القهقري، أو النزول عن جيادهم، لضيق المكان الذي حصروا فيه، ولأنهم جاءوا الاحتفال من غير بنادق ولا رصاص، ولم يكونوا يحملون سوى سيوفهم، وهيات أن تعمل السيوف في ذلك الموقف شيئاً، فانصب عليهم الرصاص، وحصدتهم حصداً، وجاءهم الموت من كل مكان.

ولما سقطت الصفوف المكشوفة من المماليك تخبط بدمائها، أمكن للباقيين أن يترجلوا عن جيادهم، وأرادوا النجاة بأنفسهم من تلك الحفرة المهلكة التي كانوا مكدسين فيها، فتسلق بعضهم الصخور المحيطة بالطريق بعد أن خلعوا ما كان عليهم من الفراوى والملابس الثمينة والثياب الفضفاضة ليسهل عليهم الفرار، ولكن الرصاص كان يتلقفهم أينما سعدوا، وتمكن بعض المماليك من الوصول إلى حيث كان طوسون باشا راكباً جواده منتظراً أن تنتهي تلك المأساة. فتزاموا على أقدامه طالبين الأمان، ولكنه وقف جامداً لا يبدي حراكاً، وعاجلهم الجنود بالقتل، وتكدست جثث القتلى بعضها فوق بعض في ذلك المضيق، وعلى جوانبه حتى بلغ ارتفاع الجثث في بعض الأماكن إلى أمتار، واستمر القتل إلى أن أفني كل من دخلوا القلعة من المماليك.

لم يكن أحد من سكان القاهرة يتنبأ قبل أن تقع المذبحة بما خباها القدر بين أسوار القلعة، فكانت الجماهير يعلوها الابتهاج محتشدة في الشوارع المعدة لسير الموكب تنتظر مروره، ولقد مرت طليعة الموكب بين جموع المتفرجين، وأخذ الناس يتربصون بلهف مرور الصفوف التي تليها، ثم انقطع تلاحق الصفوف، فعجب الناس وطفقوا يتساءلون عن السبب، وذهبت أفكارهم في تفسير ذلك مذاهب شتى، وفيما هم ينتظرون قدوم الصفوف المتأخرة سمع المحتشدون في ميدان الرميطة الذي بأسفل القلعة صوت الرصاص يدوى في الفضاء بعد أن أقفل باب العزب، فسرى الذعر إلى الناس إذ وصل خبر المذبحة إلى الجماهير القريبة من القلعة وصاح صائح: "قتل شاهين بك" وسرعان ما ذاع الخبر بسرعة البرق إلى مختلف الأنحاء، فتفرقت الجماهير وأقفلت الدكاكين والأسواق، وهرع الناس إلى منازلهم، وخلت الشوارع والطرقات من المارة، وأعقب هذا الذعر نزول جماعات من جنود الأرناؤوط إلى المدينة يقصدون بيوت المماليك في أنحاء القاهرة، فاقتحموها وأخذوا يفتكون بكل من يلقونه فيها من أتباعهم، وينهبون ما تصل إليه أيديهم، ويغتصبون من النساء ما يحملن من الجواهر والحلي والنقود، واقترفوا في ذلك اليوم واليوم الذي تلاه من الفظائع ما تقشع منه الأبدان، ولم يكتفوا بالفتك بمن يلقونه من المماليك ونهب بيوتهم واغتصاب نسائهم، بل تجاوزوا بالقتل والنهب إلى البيوت المجاورة، وبلغ عدد المنازل التي نهبها خمسمائة منزل، وأصبح اليوم التالي (السبت) والسلب والنهب والقتل مستمر في المدينة، واضطر محمد علي باشا إلى النزول من القلعة في صحوه ذلك اليوم وحوله رؤساء جنده وحاشيته لوضع حد للنهب والاعتداء، فمر بالأحياء المهمة التي كانت هدفاً لعدوان الأرناؤوط، وأمر بقطع رؤوس من استمروا في النهب والاعتداء، وكذلك

فعل طوسون باشا. بلغ عدد من قتلوا من المماليك في القلعة وفي أنحاء القاهرة والمديريات في تلك الأيام الرهيبة نحو 1000 من أمراء وكشافين وأجناد ومماليك. نفذ القضاء في ذلك اليوم على فئة المماليك، ولم يبق منهم إلا عدد ضئيل ممن بقوا مع إبراهيم بك الكبير وعثمان بك حسن اللذين لم يطمئنا من قبل لمصالحة محمد علي باشا وبقياً في الصعيد ومعهما ذلك الرهط من المماليك، ونجا أيضاً من القتل عدا هؤلاء نحو ستين مملوكاً فروا إلى سورية. الرأي في مذبحه القلعة

حاول بعض المؤرخين تبريرها بقولهم إن محمد علي اضطر إليها دفاعاً عن نفسه وأن المماليك كانوا يتأمرون عليه حين ذهب إلى السويس يتعهد شئون العبارة المعدة لنقل الحملة المحاربة للوهابية، ونمى إليه أنهم ينوون الفتك به عند عودته إلى القاهرة (فبراير سنة 1811م) فخرج من السويس ليلاً على غير ميعاد وأسرع في السير حتى دخل القاهرة ولما تحقق أنه لا يأمن فتك المماليك به وخاصة إذا أنفذ الحملة على الحجاز وخلت البلاد من الجنود اعتزم قطع دابرهم، وهذه الرواية لم نجد لها سنداً قوياً، ولا نعتقد أن هذا الحادث هو الذي أوحى إلى محمد علي تدبير مذبحه القلعة، بل أغلب الظن أنها كانت نتيجة تفكير عميق وتدبير واسع المدى سابق على ذلك الحادث وكان قبله بمدة. ولم تلق مذبحه المماليك تبريراً قوياً حتى من أصدقاء محمد علي المدافعين عنه وعن حكمه (67)

كان هذا الشرح عن هذه الواقعة الهامة في تاريخ مصر ضرورياً قبل عرض ما ذكره كميل بوش عنها؛ حتى نرى كيف كان المصريون يروون تلك الحادثة بعد مرور ما يقرب من تسعة وعشرين عاماً عليها، يقول عنها: (....) وعندما سألت الناس عن أسباب وجود الدماء***؟ أوضحوا لي أنه كان هناك أمة عربية كان اسمها المماليك، وكانوا يقطنون هذه المدينة منذ زمن بعيد ولم يكن لهم مثل في الشجاعة والإقدام، وكانوا لا يطيعون الملك بسبب شجاعتهم، وكان عددهم سبعمائة شخص. وأخيراً مكر بهم ملك مصر في يوم حيث دعاهم في هذه القلعة إلى الطعام خدعةً، وعندما تجمعوا في هذه القلعة أمر بإغلاق الباب وجعل أتباعه يصعدون الحوائط ويقتلونهم بالرصاص والحراب والسيوف، وظلوا يجرون هنا وهناك متألمين من الجراح، وهذه البقع التي تظهر هي من دمائهم.... (68)

نلاحظ هنا أن الأسلوب السردي للكاتب في هذه الفقرة أصبح تمثيلاً، فيقدم لقارئه مشهداً شبه حرفي يجعل القارئ يتعاطف مع هؤلاء المماليك. ويبدو أن يوسف كميل في كتابته يغرق بسرعة في عواطفه ويقدم انطباعاته الشخصية أكثر من سرده للوقائع.

الجيش والأسطول البحري:

كانت القوات العسكرية قبل محمد علي مؤلفة من عناصر تميل بطبيعتها إلى الشغب والفوضى، فمعظمها من الأكراد والألبان والشراكسة الذين يطلق عليهم لفظة (باشبورق) أي الجنود غير النظاميين، ولم يكن لمثل تلك المجموعة المختلطة من الأجناس الغربية عن مصر الشعور القومي الذي يشعر به أبناء البلاد، وكان

تنظيم هذه القوات خاضعا للانقلابات السياسية التي أملتھا الثورات في الولايات العثمانية والمعارك والاختلافات التي ألفتھا حياة المماليك أثناء القرن الثامن عشر . ويضاف إلى تلك القوات جماعات من الأعراب الذين كانوا يهددون الأمن في بعض الأقاليم، ولم تكن هذه القوات في مجموعها خاضعة لنظام عام أو تدريب ثابت منسق، وإنما كانت أعمالها عبارة عن حرب عصابات وكر وفر⁽⁶⁹⁾. رأى محمد علي أن هذا الجيش لا يعتمد عليه في تحقيق مشروعاته العظيمة لتأسيس ملكه الجديد، فبذل جهده في إنشاء جيش من الفلاحين أبناء البلد، وقد اتبعت لهجة على الفرصه ليشهد الجيوش الأجنبية في قتالها، فقاتل الفرنسيين في معركة الرحمانية، واستطاع أن يشهد نظامها الحديث، وتكتيكاتها، وقرن بين هذا وبين الحالة التي عليها الجيش، فصمم على أن يستبدل جنوده غير النظامية بجيش على النظام العسكري الحديث متى سمحت الفرصة لذلك. وبعد عام 1815 كانت حروب نابليون قد انتهت وسرحت جيوشه، وأصبح كثيرون من ضباطه بلا عمل، فاستقدم محمد علي منهم كثيرين وأشهرهم " سيف " الذي أصبح فيما بعد "سليمان باشا الفرنسي" .

أخذ سيف على عاتقه إنشاء جيش مصري حديث، فاستصدر أمرا من محمد علي باشا في 8 أغسطس سنة 1821 بإنشاء مدرسة أسوان الحربية، بدأ فيها بتعليم العدد الضروري لتولى مهام ضباط الجيش ، وجمع له محمد علي لهذا الغرض ألفا من المماليك الشباب الذين تألفت منهم نواة الجيش المصري.

وقد ضرب محمد علي مثلا عاليا إذ ألحق ابنه إبراهيم بهذه المدرسة ليتعلم كواحد من طلبتها، وكان هذا من أكبر عوامل نجاح المشروع. كما استدعى محمد علي باشا نخبة من الضباط الفرنسيين ، منهم الجنرال بوابيه والكولونيل جودان ، وكان لهم أثر واضح في التدريب الحديث على نمط الجيش الفرنسي في أداء الحركات والسير والمناورات فيما عدا النداء فكان يصدر باللغة التركية ، وطبقت على الجيش المصري قوانين الجيش الفرنسي بعد ترجمة القوانين العسكرية إلى التركية للعمل بموادها⁽⁷⁰⁾.

ومن الحق أن نعترف أن محمد علي لاقى صعوبات في تجنيد الأهليين، وترجع المصاعب في تجنيد الأهالي إلى أنهم لم يألفوا الخدمة العسكرية ولم يكونوا مكلفين بها في عهد المماليك، فلما شرع محمد علي في تجنيد المصريين قابل الفلاحون هذا المشروع بالنفور والسخط، ولم ينتظموا في صفوف الجندية إلا مكرهين، فكانت الحكومة تقبض على المجندين وتسوقهم قسرا إلى المعسكرات. إلا أن الفلاحين رأوا بعد ذلك أن الحياة العسكرية أحسن حالا من معيشتهم في القرى طعاما ولباسا ومظهرا، فأخذوا يألفونها ويعتزون بها.

قال المسيو موربيه في هذا الصدد: "لما انتظم الفلاحون في صفوف الجيش النظامي ألفوا بسرعة حياتهم الجديدة، وبعد أن كانوا معتادين على الذل والمسكنة في قراهم استشعروا تحت راية الجيش كرامتهم الإنسانية، وأخذوا يفخرون بأنهم جنود محمد علي ويقابلون غطرسة الترك بمثلها، ولم يقبلوا أن يسموا فلاحين وعدوها تصغيرا لشأنهم؛ لأن هذه التسمية كانت تشعرهم وقتئذ بشيء من المهانة، ونالوا من الحكومة أمر بالآل ينزهم أحد بكلمة فلاحين."⁽⁷¹⁾

إلا أن يوسف كمبل عندما عرض صورة الجيش المصري عرضها بشيء من السطحية في الرؤية، كما حاول إثبات أن الجيش الإنجليزي هو الأفضل رغم أن هذه الفترة كانت تشهد تفوقا عسكريا كبيرا في الحروب التي خاضها محمد على سواء حروبه البرية أو البحرية ، حتى اضطرت القوى العظمى أن تتحالف ضده لتقف في وجه توسعته⁽⁷²⁾. يقول يوسف كمبل:

(.... وعلى كتف كل مجند بندقية فرنسية، وكلهم شباب سمان لكن أجسامهم قصيرة، ويرتدون ملابس قديمة وغير نظيفة بل متعفنة. وضباطهم أيضا يرتدون ملابس ثقيلة. ولو أصبح مثل هؤلاء الناس الأقوياء في الجيش الإنجليزي لكان ملوك الأرض عاجزين عن مواجهتهم، ولكن أحوال هؤلاء كانت سيئة. ولا يسأل أحد الآخر، ولا يقبل أي شخص الوظيفة في الجيش الملكي بسرور؛ فملك مصر يقوم بتجنيدهم بالقوة، ولأن الناس يخافون من هذا الهلاك والضرر ويعتبرون أنه لا فائدة له، فيحدثون عاهة في أبنائهم، أي: ينفأون أعينهم أو يكسرون لهم أسنانهم حتى ينجوا من التجنيد. وأيضا عند دخول الجيش يقومون بوضع علامة تدل على أنه مجند في جيش الملك عن طريق كي الذراع اليمنى للمجند، ثم إنه يظل دائما في الجيش طوال عمره ولا يستطيع أن يذهب إلى أهله وأقاربه. ولقد رأيت معسكر الجيش الذي هو مثل بيت الخنازير؛ حيث إنه مبني من الطوب والطين، ولا يوجد في كل غرفة سوى مكان لشخص واحد، وارتفاعها منخفض، فلا يستطيع أي أحد أن يقف فيها معتدلا. وأما عن الطعام فكان في الليل يطبخ اللحم والأرز ممزوجين، ويوضع في الأطباق، وكل مجموعة من الأشخاص يجتمعون على طبق واحد "معاذ الله ما أسوأ هذه الوظيفة!"، فأنا أفضل الرمي في البئر أو في النهر على ذلك، فهذا يبدو بعيدا كل البعد عن عظم الحاكم وعلو شأنه حيث يقوم بتجنيد الناس بالقوة والإجبار....)⁽⁷³⁾

على عكس الصورة الأولى التي رسمها عن الجيش المصري، فقد اعترف بأن خيام الجيش المصري تقف على قدم المساواة مع خيام الجيش الإنجليزي. ولكنه أيضا هنا يظهر امتعاضه من أخذ المجندين للحرب في الحبشة⁽⁷⁴⁾ قسرا، ويصف مشاعر هؤلاء الجنود وأهليهم، فيقول:

(.... وكان من الصدفة أن جيش مشاة ملك مصر قد جاء إلى هنا ومكث عدة أيام، حيث إنهم كانوا يقصدون حرب الحبشة. وكانت خيمة الجيش جميلة ونظيفة كخيام الجيش الإنجليزي، وكانت منتصبة على مكان جيد. ولقد قابلت هؤلاء الناس لكن كان كل شخص منهم يبدو عليه الحزن والغم والأسى؛ فسألتهم: ما الذي أصابكم؟ فقالوا: إن الحبشة بلد حار للغاية، ويبدو أنه لن ينجو أحد منا؛ فلقد اصطحبتنا أمهاتنا وأخواتنا إلى السويس ليقومن بتوصيلنا وكأنهن يوصلننا إلى أبواب قبورنا. فعطفت على هؤلاء الشباب، حيث نأسفت للغاية أن كل شاب منهم سيموت؛ فيمقارنتهم بأهل الحبشة فمن يستطيع تحمل هذه الحرارة، وقتال أهل الحبشة....)⁽⁷⁵⁾

كان في عهد محمد علي قوة بحرية عظيمة، كادت مصر أن تصل من خلالها إلى أن تعد من الدول البحرية ذات الدرجة الثانية⁽⁷⁶⁾. وقد أقر بهذا يوسف كمبل بمجرد وصوله إلى الإسكندرية ورؤيته الأسطول البحري المصري:

(.... "محمد على" هو ملك مصر، ويبلغ عمره اثنين وسبعين عاما، وهو ذو قوة وإدارة وتدبير، ولديه سفن حربية قوية، تقارب السفن الإنجليزية في النظافة وفي كل

شيء، ولكن يعتبر زي ضباط السفن أقل قيمة قليلا من نظرائهم على السفن الإنجليزية.....⁽⁷⁷⁾

سنلاحظ هنا عند الحديث عن الجيش والأسطول البحري أن الكاتب رسم صورة انتقد فيها هيئة الجيش المصري وآلية التجنيد وأماكن عيش الجنود... إلخ معتمداً في ذلك على مشاهداته دون تأصيل للفكرة أو بحث في الأسباب. كما حاول إثارة مشاعر قارئه ليشاركه نفس الشعور؛ فنجده مثلاً يركز على موتيف الوداع بين الجنود والأهل ليحقق له ما يصبو إليه. كما عاد الكاتب لاستخدام المقارنة بين مشاهداته وما هو معروف لدى قرائه، فلكي يشرح لقارئه مدى تقدم البحرية المصرية كان عليه مقارنتها بالبحرية الإنجليزية التي لا تخفى على قراء شبه القارة.

رأيه في محمد علي وأسرته:

كان محمد علي، وما زال، من الشخصيات التي اختلف المؤرخون حولها، فمنهم من يراه باني مصر الحديثة وحاميها، ومنهم من يراه دكتاتوراً أذاق المصريين صنوف العذاب وجعلهم رهن طموحاته. أما المنصف منهم من وجهة نظرنا- فيوازن بين الجانبين: فلم يبخسه حقه كبان لمصر الحديثة وتشجيعه للصناعة والتجارة وإنشائه للطرق وتأسيسه أسطول بحري قوى من ناحية، وما بين سياسة الاحتكار التي اتبعها والقضاء على أي صوت للمعارضة من ناحية أخرى. وقد رصد يوسف كمبل في زيارته بعض ما شاهده من محمد علي، وبدأ يقيمه ما بين الاستحسان تارة، والذم تارات أخرى:

فمثلاً يقدم صورة عن ولي العهد " إبراهيم باشا"⁽⁷⁸⁾ يمدحه في أولها، ثم يذكر أنه هو ووالده سبب انتشار شرب الخمر بين المصريين لمعاقرتهم لها، ولكن لم أجد في أي مصدر أو مرجع حديثاً عن هذا الأمر، يقول يوسف كمبل: (.... وولي العهد اسمه "محمد إبراهيم"، وحسب قول الناس إنه لم يكن له مثيل في الشجاعة والإقدام، وبالرغم من أنه يملك السلطة والحكومة لا يحضر معه أمتعة الراحة في الحروب ويظل وحيداً بسبب فراغ باله. وفي ذات يوم وجد في الحرب جملين أو ثلاثة محملين، فسأل لمن هذه الجمال والأمتعة. فأوضح له الخدم أن هذه الجمال لنا وعليها أمتعتنا، فغضب وقال لهم: إنني لا أخذ معي أي شيء وأنام على الأرض، لماذا أنتم تحضرون هذا الكم من الأمتعة؟ وبسبب هذه الرفاهية نحاهم من الوظيفة. وإذا كان الملك والأمير يشربان الخمر يشرب أيضاً الجيش والشعب؛ متأثرين بهما. أي أن كل شخص يشرب الخمر....)⁽⁷⁹⁾

كما تحدث عن تشجيع محمد علي التعليم، وإرساله البعثات العلمية وإنشاء المدارس. يقول:

(.... وقام بإيجاد العديد من العادات والأحكام التي لم يكن لها وجود قبل ذلك في مصر منها أمر جديد حيث إنه علم الناس صنع السلاح والبنادق، لهذا أمر بصناعة البنادق، وعلم الجيش المبادئ الإنجليزية للحرب، وقام بتعيين المصورين المهرة، وأمر الناس بأن يعلموا أولادهم فن التصوير والنحت وأمرهم بعمل تماثيل الشمع مثل لندن وكانوا قبل ذلك يعتبرون هذا الفن ذنباً ويكرهونه، والآن انتشر حتى أصبح حرفة ومهنة. وأمر ببناء عدة مدارس له بعدة أماكن، وقام بتعيين رواتب لمعلميه

صورة مصر في كتاب تاريخ يوسف كمبل بوش المعروف بعجائبات فرنگ

وطلابه. وقام بتعيين الشباب وقام بإرسالهم إلى إنجلترا وفرنسا لكي يتعلموا حرفة قيادة السفن ، وهكذا مئات الأشياء الجيدة التي قام بنشرها بنفسه ، والخلاصة أنه يستحق الإشادة بسبب بعض أعماله ، ويُكره بسبب ظلمه وقهره....⁽⁸⁰⁾ إذا نظرنا إلى ما قدمه الكاتب عن محمد علي سنجد أنفسنا في مأزق الحكم على هذا الحاكم، ولكننا لو تعاملنا معه كشخصية روائية وتركنا التاريخ للمؤرخين، فسنجد الكاتب قد قدمه بصورة درامية عالية تتراوح ما بين الخير أحيانا والشر في أحيين أكثر، فكان كبطل تراجيدي يمشى بنفسه ودولته نحو الانهيار بسبب ظلمه - من وجهة نظر الكاتب.

لقد جاءت معالجة الكاتب لشخصية محمد علي خاضعة لما يمكن أن نسميه معالجة وجهة النظر، فقد تتبع أعمال محمد علي في أكثر من موضع ولكن ما يأخذ عليه هو أنه فرض على قارئه وجهة نظره دون أن يترك له حرية الحكم وتكوين وجهة نظره الخاصة.

مقارنة بين ما ورد في كتب التاريخ والحضارة، وبين ما ورد في كتاب تاريخ يوسف:

من العرض السابق لرحلة كمبل بوش في مصر سنجد أن مشاهدات الكاتب التي رصدها ودونها من وجهة النظر التاريخية لا يعول كثيرا؛ لاعتماده على الإشاعات والأقوال دون تحقق أو تثبت ، أما من وجهة النظر الفنية فالكاتب ربما لا يكون أدبيا بارعا ولكنه استطاع أن يقدم لنا رحلته في صورة قصصية جميلة وكأننا نقرأ قصة أو رواية يقوم هو فيها بدور السرد ويحرك شخصياتها كما يشاء ليعرضهم أمام قرائه بما لهم وما عليهم ، كما برع كثيرا في تقديم الحيز المكاني الذي تدور فيه الأحداث وقربه لقارئه من خلال تقنيتين هما: المقارنة مع صورة ماثلة في خياله ومعرفته الخلفية، والتقنية الثانية هي تقنية الكاميرا الفتوغرافية في وصف أدق المشاهد وكان أمامنا صورة قد التقطتها عدسة كاميرا.

الخاتمة

توصل البحث من خلال دراسة موضوع صورة مصر في كتاب تاريخ يوسف ليوسف كمبل پوش المعروف بعجائبات فرنگ إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:

1. يعتبر كتاب تاريخ يوسف حلقة مهمة من حلقات تطور النثر الأردني والتي كانت قد بدأت على يد كلية "فورت وليام"
2. تضمن وصف يوسف كمبل لبعض مشاهداته في مصر بعض الموثيقات التي لم تشر إليها كتب التاريخ التي وثقت الفترة التي تحدثت عنها؛ يظهر ذلك على سبيل المثال في حديثه عن حفروا ترعة المحمودية.
3. لم يكن يوسف كمبل مؤرخا بالمعنى الحرفي للكلمة؛ إذ اعتمد في كثير مما كتب عن رحلته إلى مصر على انطباعه الشخصي، كما اتضح عند حديثه عن سكان قرى مصر، وعلى الأقاويل التي أمدته بها العامة عن بعض الأحداث -مثل مذبحه القلعة، ومقبرة هارون الرشيد... إلخ-دون تحقيق وتوثيق لما يكتب.
4. تباين موقف كمبل پوش من حاكم مصر في تلك الفترة وهو محمد علي باشا، فمن ناحية لم يبخسه حقه فيما أجاد فيه، ولكنه نفر بشدة من الظلم الذي كان يوقعه على المصريين.
5. اهتم يوسف كمبل -أثناء عرضه لبعض مشاهداته- بالتفاصيل الدقيقة وعرضها في صورة شيقة مما جعل عمله أقرب إلى الحكاية أو القصة.
6. عبر الكاتب عن رأيه فيما شاهد بصور عديدة، منها: الاستحسان والثناء، والاستهجان والنقد والسخرية في بعض الأحيان.
7. اعتمد كمبل في بناء العديد من صوره وأرائه على تقنية المفارقة؛ إذ يقارن كثيرا بين ما يراه في مصر وما قر في خلفيته المعرفية عن إنجلترا والهند. ولعله كان يهدف من ذلك إلى تقريب الصورة لقرائه، كما يبين -في بعض المواضع- عظم الفارق.
8. مال الكاتب في عرضه للأسلوب التمثيلي؛ إذ كان يعمد إلى حشد العديد من الصور للتعبير عما يصبو إليه، ولجعل قارئه يتفاعل معه، فيشاركه الرأي والشعور.

الهوامش

- 1- المخطوطة موجودة في الجمعية الآسيوية في البنغال في (كلكتة) في فهرس المخطوطات الفارسية.
- 2- سمير عبد الحميد نوح - الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردني - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - عمادة البحث العلمي - سلسلة آداب الشعوب الإسلامية - 1419 هـ - من ص: 32 إلى ص: 35 . يوسف خان كميل پوش - تاريخ يوسف المعروف بعجائبات فرنگ - تحقيق وتدوين: مظهر أحمد - نيو انڈیا آفسیٹ پریس - دہلی - ب.ت. - المقدمة ص: 13.
- 3- يوسف خان كميل پوش - تاريخ يوسف المعروف بعجائبات فرنگ - مرجع سابق - المقدمة ص: 15.
- 4- وهي فرقة من فرق الشيعة الإسماعيلية وتسمى المستعلية الطيبية السليمانية : وهم من قالوا بأن الداعي المنصوص عليه هو الداعي سليمان بن الحسن. يشهد الإسماعيلية المستعلية الطيبية السليمانية أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عليا بن أبي طالب أمير المؤمنين وخليفة رسول الله وأخيه ووصيه ووليّه وقرينه إلا في النبوة، وأن فاطمة الزهراء سيدة النساء وخامسة أهل الكساء -حديث الكساء عبارة عن حديث نبوي، تحدّث به رسول الإسلام محمد في فضل أهل بيته والمقصودين بهذا الحديث هم: ابنته فاطمة وابن عمه علي بن أبي طالب، واثنين من أحفاده الحسن والحسين. وقد أدلى النبي محمد بهذا الحديث حينما جمع أهل بيته تحت الكساء، ولهذا السبب سُمي هذا الحديث بحديث الكساء. يستند عليه الشيعة مع مجموعة من الأحاديث الأخرى كحديث الغدير في ما يعتبرونه أحقية وأفضلية علي بن أبي طالب بعد وفاة رسول الإسلام محمد- وأن الحسن والحسين أماما حق قاما أو قعدا، وأن الإمامة باقية في عقب الحسين بن علي إلى يوم القيامة، وأن الجنة حق والنار حق والبعث حق . للحصول على معلومات أكثر عن هذه الطائفة انظر: <http://www.najran999.com> مقال تحت عنوان: نبذة عن المذهب الإسماعيلي السليماني. تاريخ الدخول: 2014/12/26م.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة - الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض - المملكة العربية السعودية - الطبعة الثانية 1409 هـ / 1989م - من ص: 43 إلى ص: 52.
- 5- میں مذہب سلیمانی کا یقین اور انہیں رکھتا ہوں ص: 98 من النص.
- 6- (.... یہ فقیر بیچ سن اٹھارہ سو اٹھائیس عیسوی (1828 ء) مطابق سن بارہ سو چوالیس ہجری کے حیدر آباد وطن خاص اپنے کو چھوڑ کر عظیم آباد ، ڈھاکہ ، مچھلی بندر ، مندرج ، گورکھپور ، نیپال ، اکبر آباد ، شاجہاں آباد وغیرہ دیکھتا ہوا بیت السلطنت لکھنؤ میں پہنچا یہاں بمدد گاری نصیبے اور یاور کیپٹل خاں منکنس صاحب بہادر کی ، ملازمت نصیر الدین حیدر بادشاہ سے عزت پانے والا ہوا - شاہ سلیمان جاہ نے ایسی عنایت اور خاوندی میرے حال پُر اختلال پر مبذول فرمائی کہ برگز نہیں تاب بیان اور یارائے گویائی - رسالہء خاص سلیمانی میں عہدہ جماعہ داری کا دیا - بعد چند روز کے صوبہ داری اسی رسالے کی دے کر بڑھایا - بندہ چین سے زندگی بسر کرتا اور شکرانہ منعم حقیقی کا بجالاتا - ناگاہ شوق تحصیل علم انگریزی کا دامن گیر ہوا - بہت محنت کر کے تھوڑے دنوں میں اسے حاصل کیا - بعد اس کے بیشتر کتابوں تواریخ کی سیر کرتا - دیکھنے حال شہروں اور راہ و رسم ملکوں سے محظوظ ہوتا - اکبارگی سن اٹھارہ سو چھتیس عیسوی میں دل میرا طلب گار سیاحی جہاں خصوص ملک انگلستان کا ہوا - شاہ سلیمان جاہ سے اظہار کر کے رخصت دو برس کی مانگی - شاہ گردوں بارگاہ نے بعد

- عنايت وانعام اجازت دی - عاجز تسليمات بجا لایا اور راہی منزل مقصود کا ہوا... یوسف خان کمبل پوش - تاریخ یوسفی المعروف بہ عجائبات فرنگ - مرجع سابق - ص: 2 ، 3 من النص.
- 7- یوسف خان کمبل پوش - تاریخ یوسفی المعروف بہ عجائبات فرنگ - مرجع سابق - المقدمة ص: 21.
- 8- نفسه - المقدمة ص: 21.
- 9- أحسن مارہروی - تاریخ نثر اردو (نمونہ منثورات) - ص: 127 . نقلا عن: یوسف خان کمبل پوش - تاریخ یوسفی المعروف بہ عجائبات فرنگ - مرجع سابق - المقدمة ص: 21.
- 10- (... چونکہ اس کتاب میں سب حال اپنا گزرا بیان تھا - نام اس کا تاریخ یوسفی رکھا ...) یوسف خان کمبل پوش - تاریخ یوسفی المعروف بہ عجائبات فرنگ - مرجع سابق - ص: 2 من النص.
- 11- یوسف خان کمبل پوش - تاریخ یوسفی المعروف بہ عجائبات فرنگ - مرجع سابق - ملحق الخرائط والصور.
- 12- یوسف خان کمبل پوش - عجائبات فرنگ - تحقیق: تحسین فراقی - المقدمة ص: 84. نقلا عن: یوسف خان کمبل پوش - تاریخ یوسفی المعروف بہ عجائبات فرنگ - مرجع سابق - المقدمة ص: 28.
- 13- (... چلتے وقت بیڈ صاحب نے میرے گدبے کو تیز رفتار قدم باز دیکھ کر اپنی سواری میں لیا - اپنا گدبا سست قدم میری سواری کو دیا - میں نے چارنا چار قبول کیا - وہ دونوں صاحب جلدی سے آگے بڑھے - ہم اونٹوں کے ساتھ چلے - جب رات آئی - بہت تاریکی چھائی - چلتے چلتے پاؤں گدبے میرے کا ایک گڑبے میں جاتا رہا - میں بھی اس کے اوپر سے مع تلوار بندوق کے اس میں گرا - عرب جو میرے ساتھ تھے ، حال پوچھنے لگے - میں زبان عربی سے نا آشنا تھا - اس وقت اور ہر حال میں طائب طائب کہتا - طائب ان کی بولی میں بجائے بہتر کے بولتے اور میں نے کہا بیچ ایسے وقت مصیبت کے - انہوں نے یہ سن کر قہقہہ مارا اور غار سے مجھ کو نکالا....)
- * الحديقة والربيع.
*عجائب القصص.
- 14- إن البداية الحقيقية للنثر الأردني تبدأ مع قيام كلية " فورت ولیم " أما ما قبلها فقد كان عبارة عن قصص أسطورية وأخلاقية ، كما انتشرت ترجمات القرآن الكريم والكتب الدينية. ومع ظهور كلية " فورت ولیم " عام 1800م بدأ النثر الأردني بنحو منحنى جديدا إذ تخلص من السجع والقافية واستعمال الألفاظ العربية والفارسية بتكلف. انظر: عابده بیگم - اردو نثر کا ارتقا 1800 سے 1857 تک - دہلی - الطبعة الأولى 1988م - من ص: 106 إلى ص: 150.
- سید وقار عظیم - داستان سے افسانے تک - الطبعة الأولى - 1989م - من ص: 33 إلى ص: 48.
- انور سدید - اردو ادب کی تحریکیں (ابتدائے اردو سے سنہ 1975ء تک) - انجمن ترقی اردو پاکستان - اشاعت اول 1985ء - من ص: 247 إلى ص: 276.
- سلیم اختر - اردو ادب کی مختصر ترین تاریخ - آغاز سے 2000 تک - کتابی دنیا دہلی - سن اشاعت 2005ء - من ص: 278 إلى ص: 326.
- 15- سمیر عبد الحمید نوح - الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردني - مرجع سابق - ص:

- 36.
- 16- يوسف خان كمبل پوش - تاريخ يوسف المعروف به عجائبات فرنگ - مرجع سابق- المقدمة ص: 50.
- 17- <http://mawdoo3.com> مقال تحت عنوان: تعريف ادب الرحلة ، آخر تحديث: 5 / 1 / 2015م.
- 18- محمد على باشا المسعود بن إبراهيم آغا القوللي (4 مارس 1769- القاهرة، 2 أغسطس 1849م) ، هو مؤسس مصر الحديثة وحاكمها من 17 مايو 1805 حتى 1 سبتمبر 1848. استطاع أن يعتلي عرش مصر عام 1805م بعد أن بايعه أعيان البلاد ليكون واليا عليها، بعد أن ثار الشعب على سلفه " خورشيد باشا"، ومكنه ذكاؤه واستغلاله للظروف المحيطة به من أن يستمر في حكم مصر طيلة تلك الفترة، ليكسر بذلك العادة التركية التي كانت لا تترك واليا على مصر لأكثر من عامين.
- خاض محمد في بداية فترة حكمه حربا داخلية ضد المماليك والإنجليز إلى أن خضعت له مصر بأكملها، ثم خاض حروبا بالوكالة عن الدولة العثمانية في الجزيرة العربية ضد الوهابيين وضد الثوار اليونانيين الثائرين على الحكم العثماني في المورة، كما وسع دولته جنوبا بضمه للسودان، وبعد ذلك تحول إلى مهاجمة الدولة العثمانية حيث حارب جيوشها في الشام والأناضول، وكاد يسقطها، لولا تعارض ذلك مع مصالح الدول الغربية التي أوقفت محمد على وأرغمته على التنازل عن معظم الأراضي التي ضمها. وبعد فشل مشاريعه العسكرية وعزله توفي في الإسكندرية في 2 أغسطس 1849 ، ودُفن في الجامع المعروف باسمه فوق جبل المقطم في قلعة القاهرة.
- استطاع خلال فترة حكمه أن ينهض بمصر عسكريا وتعليميا وصناعيا وزراعيًا وتجاريًا، مما جعل من مصر دولة ذات ثقل في تلك الفترة، إلا أن حالتها تلك لم تستمر بسبب ضعف خلفائه وتفرطهم في ما حققه من مكاسب بالتدريج إلى أن سقطت دولته في 18 يونيو سنة 1953م، بإلغاء الملكية وإعلان الجمهورية في مصر. للحصول على معلومات أكثر، انظر:
- عصر محمد على، عبد الرحمن الرفاعي- دار المعارف- الطبعة الرابعة، سنة 1402 هـ / 1982م.
- محمد على وأولاده بناء مصر الحديثة- جمال بدوي- مكتبة الأسرة- مهرجان القراءة للجميع- 1999م.
- محمد على سيرته وأعماله وأثاره- إلياس الأيوبي- إدارة الهلال بمصر- 1923م.
- عجائب الآثار في التراجم والأخبار (الجزء الرابع) - عبد الرحمن الجبرتي - مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة - ب. ط ، ب. ت.
- 19- (.... تيرهويين تاريخ فروري سنه 1838 ء كے جہاز ہمارا شہر اسکندریہ میں پہنچا - جہاز سے اتر کر مع دوست واحباب روانہ شہر ہوا - کنارے دریا کے لڑکے عرب کے گدھے کرائے کے لیے ہوئے کھڑے تھے - ہر وضع و شریف کو ان پر سوار کر کر لے جاتے - ہر چند ابتدا میں اس سواری سے نفرت ہوئی - لیکن بموجب ہر ملکہ و ہر رسمے کے آخر ہم نے بھی گدھوں کی سواری کی اور سرا کی راہ لی....)
- 20- <http://www.aljabriabed.net> مقال تحت عنوان: رحلة أدبية أم أدبية الرحلة؟ تاريخ آخر تحديث: 14/3/2015م
- 21- (.... چلتے وقت بیڈ صاحب نے میرے گدھے کو تیز رفتار قدم باز دیکھ کر اپنی سواری میں لیا - اپنا گدھا سست قدم میری سواری کو دیا - میں نے چارنا چار قبول کیا - وہ دونوں صاحب جلدی سے آگے بڑھے - ہم اونٹوں کے ساتھ چلے - جب رات آئی - بہت تاریکی چھائی - چلتے چلتے پاؤں گدھے میرے کا ایک گڑھے میں جاتا رہا - میں بھی

- اس کے اوپر سے مع تلوار بندوق کے اس میں گرا - عرب جو میرے ساتھ تھے ، حال پوچھنے لگے - میں زبان عربی سے نا آشنا تھا - اس وقت اور ہر حال میں طائب طائب کہتا - طائب ان کی بولی میں بجائے بہتر کے بولتے اور میں نے کہا بیچ ایسے وقت مصیبت کے - انہوں نے یہ سن کر قہقہہ مارا اور غار سے مجھ کو نکالا....
- 22- للحصول علی معلومات أكثر انظر:
تاریخ الإسكندرية القديم وترعة المحمودية - عمر طوسون - كلمات عربية للترجمة والنشر - القاهرة - ب. ب. ب. ت. من ص: 59 وما بعدها.
- عصر محمد علی - عبد الرحمن الراجعی - مرجع سابق - من ص: 488 إلى ص: 491.
- 23- (.... پندریوں تاریخ فروری سنہ 1838ء کو میں اور پرنکل صاحب ، بیڈ صاحب اور ہل صاحب باورچی سرائے مصر کی کشتی پر سوار ہوکر شہر محمدی کو چلے - یہاں سے حال سنئے - ناؤ نہر محمدی میں رواں ہوئی - کیفیت اس کی اس طرح پر کہ سابق میں وہ نہر تھی - محمد علی شاہ نے اپنے زمانہ سلطنت میں کھدوائی - مردوں اور رنٹیوں کو زور ظلم سے پکڑا ، نہر کھودنے میں لگایا - سات دن میں اسکندریہ سے محمدی تک نہر کو کھدوایا - یہاں سے وہاں تک فاصلہ چوبیس کوس کا تھا - اس محنتِ شاقہ رات دن کی میں قریب ساٹھ ہزار آدمیوں کے مرے - اب اس نہر میں ناؤ آتی جاتی ہے....)
- 24- (.... ملاح عربی بہ نسبت ہندیوں کے ناؤ چلانے میں زیادہ مہارت رکھتے ہیں - سر سے پاؤں تک فقط ایک کرتا پہنتے ہیں - وقت ناؤ کھینچنے کے اس کو بھی کمر سے لپیٹتے ہیں....)
- 25- (.... گلی کوچے تنگ اور ابی بہت تھے....)
- 26- (.... اس خیال سے کہ جہاز دودی سویس سے رواں ہو جاوے گا - بندہ سر گرم تردد تھا - چلتے چلتے صحرائے ریگستان میں پہونچا - وہاں ہم سب کھانا کھا کر سو رہے ، صبح اٹھ کر پھر چلے - راہ پُر آفت و بلا تھی - صورت دانے پانی کی کہیں نظر نہ آئی - ہزار خرابی سے قطع مسافت کرتے تھے....)
- 27- (.... طور سے کوہ طور تک چار روز کی راہ تھی - ہم نے اپنی تیز روی سے دن بھر چل کر تین روز میں طے کی - راہ میں ایسے ایسے رستے پہاڑ کے دیکھے کہ بسبب تنگی کے دو اونٹ برابر نہ جا سکتے - بلکہ سوا اونٹ کے دوسرا جانور ہر گز تاب و طاقت نہ رکھتا کہ ان راہوں دشوار گزار سے چل سکتا....)
- 28- (.... سب رستہ کوہستان ہے - تکلیف اور مصیبت بیحد و پایاں ہے....)
- 29- عصر محمد علی، عبد الرحمن الراجعی- مرجع سابق- من ص: 512 ، 513.
- 30- (.... ایک اور امر عجیب دیکھا - جس ناؤ پر علم انگریزی ہوتا کوئی مزاحم نہ ہوتا.... محمدی میں ہر چیز کی تجارت ہوتی - خلقت خرید و فروخت اسباب کی کرتی ہے....)

*المقصود مدينة السويس.

- 31- (.... یہ شہر مقام تجارت اسباب مصر کا ہے - دریائے شور سے لگا ہے - بگلے عرب کے یعنی چھوٹے جہاز وہاں آتے ہیں - اسباب خرید کر کے جدے اور مگے لا دلے جاتے ہیں اور وہاں کا اسباب یہاں بیچنے لاتے ہیں....)
- 32- (.... بازار کا تماشا دیکھنے چلے - ہر ایک دوکان اور تنگی راہ وہاں کی اور خرید و فرخت اشیا کی مثل بنارس کے تھی - مگر ساخت بازار میں البتہ صورت دوسری یعنی یہاں درمیان دوکانوں کے چھپر گھاس پھوس کا ڈالا ہے - بہ سبب اس کے مینہ اور غبار سے صحن بازار کا بچتا ہے - دوکانیں حلوائیوں اور باورچیوں کی مانند دوکانوں

ہندوستان کے آباد - نان باٹیوں کی دوکان پر ترک و عرب روٹی کہا رہے تھے دل شاد - چھوڑا بیچنے والے دوکانوں پر بیٹھے چھوڑا بیچتے - مکھیوں کے ان کے پاس ہجوم تھے - راہ میں ہندوستان کی طرح جا بجا اسباب عمدہ رکھے - کسی طرف سے بگھیوں کے رستے نہ تھے - ایک آدھ راہ سے بگھی شاہ مصر کی بدشواری جا سکتی - قصابوں کی یہ صورت تھی کہ میلے کپڑے پہنے اور ایک چنٹھا میلا گوشت پر ڈالے گوشت بیچ رہے تھے)

33- (... اُس بازار میں آیا کہ لونڈی غلاموں کے بکنے کا وہ مقام تھا۔ بردہ فروش لونڈیاں علانیہ بیچتے ہیں۔ خوف حاکم و عسس نہیں رکھتے ہیں جو لونڈیاں خوبصورت کم سن دیکھتے ہیں۔ ان کو علیحدہ ایک مکان میں پردہ نشین کرتے ہیں۔ جس خریدار کو صاحبِ عزت و ثروت جانتے ہیں اُس مکان میں لے جا کر دکھاتے ہیں۔ باقی اور لونڈیاں سر بازار بٹھلا کر بیچتے ہیں۔ لوگ دیکھ بھال کر مول لیتے ہیں۔ حال اُن بے چاریوں کا اُن ظالموں کے ہاتھ سے متغیر تھا۔ کسی کا بہ سبب فاقہ کشی کے بدن میں فقط چمڑا رہا، کسی کا سارا بدن ننگا۔ بندہ کپڑے سپید انگریزی پہنے تھا۔ اظہار خریداری لونڈی خوبصورت کا کیا۔ بردہ فروش نے اندر مکان کے لے جا کر لونڈیاں خوبصورت دکھلائیں۔ صورت شکل میں سب پری کے مانند تھیں۔ مگر بسبب تکلیف دینے اُن ظالموں کے، روٹی کپڑے سے سوکھ کر پوست و استخاواں رہیں۔ سب کی سب میری طرف دیکھ کر عاجزی سے اشارہ خریداری اپنی کا کرتیں۔ میں دیکھنے حال تکلیف اور مصیبت اُن پریوں سے سخت رنجیدہ ہو کر باہر آیا۔ بخدا گار مجھ کو مقدر ہوتا۔ اُن ستمگاریوں ا خدا ترس سے سب کو مول لے کر آزاد کر دیتا۔ مگر لاچار ہوا کہ اتنا روپیہ کہاں سے لاتا۔ بجز غم کھانے کے چارہ نہ دیکھا۔ دل میں تعجب آیا کہ اس قدر زیادتی لونڈیوں کا باعث کیا۔ لوگوں نے کا محمد علی شاہ مصر کا جس ملک کو فتح کرتا ہے۔ اُس شہر کے زن و مرد پکڑ لاتا ہے۔ اُن کو درما بے عوض سپاہیوں کو تقسیم کر دیتا ہے۔ ہر ایک سپاہی اُن کو اس بازار میں لا کر سر دست اُن ظالموں کے ہاتھ کم قیمت پر بیچ جاتا ہے۔ یہ بتدریج بیچتے ہیں، قیمت زیادہ لیتے ہیں۔ شاہ مصر کی دانائی سے بعید معلوم ہوتا ہے کہ رعیت پر اس قدر ظلم گوارا کرتا ہے باوصف کمال ہوشیاری کے خدا تعالیٰ سے نہیں ڈرتا ہے۔ میں حیران ہوں کہ اس ظلم سے قیام سلطنت اس کی کا کیوں کر ہوتا ہے۔ آخر ایک دن خدا فریاد مظلوموں کی سنے گا۔ ان اعمالوں سے سلطنت اُس کی خاک میں ملاوے گا۔

34- (... میں یہاں سے کشتی رود نیل پر سوار ہوا - مصر کو چلا - پانی نیل کا شیریں اور باضم طعام ہے بلکہ مثل معجون کے مقوی اعضاء رئیسہ اندام ہے - اسی سبب سے وہاں کے لوگوں کو توانائی میں اوروں سے زیادہ پایا - کنارے نیل کے سبزہ زمرد رنگ نظر آیا - سبزہ کنارے گنگا کا اس کو دیکھ کر یاد آیا - حق یہ ہے کہ ایسا سبزہ اور میٹھا پانی اس کا ہر گز نہ تھا)

35- (... کنارے نیل کے بہت جانور ہیں - جو شائق شکار بیشتر ہیں - چاہیے کہ وہاں شکار کریں اور تماشا نیل کا دیکھیں - بندہ نے بھی شکار بطخ وقاز وغیرہ کا کیا - بہت محظوظ ہوا)

36- (... بندہ راہ بھر اس شہر کا تماشا دیکھتا چلا - کنارے شہر کے محمد علی شاہ مصر کے دو تین مکان بنائے ہوئے نظر آئے - ایک قلعہ قدیمی تھا - وہیں اُس میں تو ہیں ناقص ازکار رفتہ پڑیں)

*حجر رشید (بالانجليزية: Rosetta stone) هو حجر نقش علیہ

نصوص ہیروغلیفیکہ و دیموٹیکہ و یونانیہ، کان مفتاح حل لغز الكتابة الهيروغليفيّة، سمي بحجر رشيد لأنه اكتشف بمدينة رشيد الواقعة على مصب فرع نهر النيل في البحر المتوسط. اكتشفه ضابط فرنسي اسمه (بوشار) في 19 يوليو عام 1799م إبان الحملة الفرنسية وقد نقش عام 196 ق.م. وهذا الحجر مرسوم ملكي صدر في مدينة منف عام 196 ق.م. وقد أصدره الكهان تخليداً لذكرى بطليموس الخامس، وظل هذا الحجر لغزاً حتى جاء العالم الفرنسي جيان فرانسوا شامبليون وفسر هذه اللغات بعد مضاهاتها بالنص اليوناني ونصوص هيروغليفيّة أخرى، وكانت الهيروغليفيّة اللّغة الدينيّة المقدّسة متداولة في المعابد، واللّغة الديموطيقيّة كانت لغة الكتابة الشعبيّة (العامة المصريّة)، واليونانية القديمة كانت لغة الحكام الإغريق، وكان قد ترجم إلى اللّغة اليونانية لكي يفهموه. وكان محتوى الكتابة تمجيداً لفرعون مصر وإنجازاته الطيبة للكهنة وشعب مصر، وقد كتبه الكهنة ليقرأه العامة والخاصة من كبار المصريين والطبقة الحاكمة. وكان العالم البريطاني توماس يانجقد اكتشف أن الكتابة الهيروغليفيّة تتكون من دلالات صوتية، وأن الأسماء الملكيّة مكتوبة داخل أشكال بيضاوية (خراطيش)، وهذا الاكتشاف أدى إلى أن فك العالم الفرنسي جان فرانسوا شامبليون رموز الهيروغليفيّة، واستطاع شامبليون فك شفرة الهيروغليفيّة عام 1822 م، لأن النص اليوناني عبارة عن 54 سطراً وسهل القراءة مما جعله يميز أسماء الحكام البطالمة المكتوبة باللّغة العامية المصريّة. وبهذا الكشف فتح آفاق التعرف على حضارة قدماء المصريين وفك ألغازها، وترجمة علومها بعد إحياء لغتهم بعد موتها عبر القرون. وأصبحت الهيروغليفيّة وأجدبتها تدرس لكل من يريد دراسة علوم المصريّات. والحجر أخذه البريطانيون من القوات الفرنسيّة، ووضعوه في المتحف البريطاني. انظر: http://ar.wikipedia.org/wiki/رانيا_محمد_فوزي / مقال تحت عنوان: حجر رشيد، آخر تحديث: 2015/3/21م

37- (.... وہاں فرانسیسوں نے محمد علی شاہ کی اجازت سے قبروں کو کھودا ہے... اگر چہ عمارت اس شہر کی شکستہ ویران تھی - مگر آبادی زمانہ سابق سے خبر دیتی - کئی وجہوں سے ثابت ہوتا کہ یہ شہر اگلے دنوں میں پر عمارت اور خوب آباد ہو گا - اس واسطے کہ جابجا اینٹ کا اور پتھر کا نشان تھا- زمین کے نیچے سے اکثر سنگ مرمر نکلتا - ان دونوں کئی مکان کوٹھی فرانسیسوں اور انگریزوں کے خوب طیار ہونے ہیں - سوا ان کے اور سب مکان ٹوٹے پھوٹے ہیں....)

*يقصد هنا القاهرة.

38- (.... اٹھارہویں تاریخ فروری کو دو گھڑی رات گئے مصر میں پہنچے ، شکرانہ خدا کا بجا لائے - گرد مصر کے دیوار شہر پناہ عظیم الشان ہے - شام سے پھاٹک بند ہوتا ہے اس وقت اندر جانے کا کسی کو نہ امکان ہے....)

39- (.... سیر کرتے ہوئے ایک قدیمی مکان میں گیا - زبانی لوگوں کے ثابت ہوا کہ فرعون کے زمانہ کا بنا تھا - بلندی اور گنبد اُس مکان کا جامع مسجد شاہجہان آباد سے زیادہ - گردا گرد اس کے دیوار پختہ ایستادہ - مکان عالیشان تھا- درو دیوار میں جا بجا نشان خون نمایاں -....)

40- (.... آگے چلا ، ایک مکان بادشاہی دیکھانیا بنتا تھا - ہر ستون اور فرش اُس کا ترشا سنگ مرمر کا - یقین کہ بعد طیاری کے بہت خوب ہو گا - سنگ مرمر جابجا سے بہت تلاش سے بہم پہنچایا - وہ مکان نہایت عالیشان تھا....)

41- قمبیز ' ملک الفرس ابن الملك قورش غزا مصر سنة 525 ق.م وحکم لمدة 4 سنوات لقب بالألقاب المصرية القديمة مثل ملك الشمال والجنوب وابن رع واتخذ لنفسه لقب حورس موحد

- الأرضين واتخاذ هذه الألقاب دليل على قوة التقاليد المصرية وضرورتها حتى يستطيع الملك ان يملك الأمر أو ربما الذي دفعه لاتخاذ هذه الألقاب هو معرفته بعظمة وقيمة تلك الألقاب كتقليد للفراعنة ولكن هناك احتمال آخر أنه أراد أن يعطى لحكمه أمام الشعب أنه حكم ذو صبغة مصرية. كان أهم هدف من أهدافه هو غزو مصر لأنه كان يعتبرها امتدادا للإمبراطوريته الفارسية التي أقرها أباه. انظر: تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني – تأليف: حسن پيرنيا – ترجمة: محمد نور الدين عبد المنعم و السباعي محمد السباعي – مراجعة وتقديم: يحيى الخشاب – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ب.ط. – ب.ت. – من ص: 87 إلى ص: 91.
- 42- انظر: <http://digital.ahram.org.eg> / مقال تحت عنوان: العزيرية أرض الأنبياء، آخر تحديث: 2013/4/1م.
- 43- (....) یہاں کا حال دیکھ کر اُس تہ خانہ میں گیا کہ فرعون علیہ اللعنت نے حضرت یوسف کو اُس میں قید کیا تھا – دروازہ اُس کا ہمیشہ بند رہتا – میرے ساتھ چوہدار بڑے صاحب کا تھا – اس لیے ایک عورت نے دروازہ کھولا اور ہاتھ میں مشعل لے کر اندر دکھایا – میں نے چاروں طرف دیکھا – فرش زمین پتھر کا تھا اور وہ تہ خانہ سنگستان میں بنا – بیچوں بیچ اس کے ایک کنواں گہرا (....)
- 44- يقع في القاهرة القديمة في الحي الذي سمي باسم الإمام (حي الحسين) ويجوار المسجد أيضا يوجد خان الخليلى الشهير والجامع الأزهر. بُني المسجد في عهد الفاطميين سنة 549 هجرية الموافق 1154م ، تحت إشراف الوزير الصالح طلائع، ويضم المسجد 3 أبواب مصنوعة من الرخام الأبيض تطل على خان الخليلى، وبابًا آخر بجوار القبّة ويعرف بالباب الأخضر. سمي المسجد بهذا الاسم نظرًا لاعتقاد البعض بوجود رأس الإمام الحسين مدفونًا به، انظر: <http://ar.wikipedia.org/wiki>، مقال تحت عنوان: مسجد الإمام الحسين (القاهرة) - آخر تحديث: 2014/12/10م.
- 45- (....) ایک مکان نظر آیا – وہ مقبرہ حضرت امام حسین رض کا تھا – لوگوں نے کہا کہ یہاں سر مبارک آنحضرت کا دفن ہوا – عمارت اس کی عالیشان – ستون اس کے چاندی کے مستحکم بنیان – گرد اس کے قرآن خواں قرآن شریف پڑھتے – مرادوالے وہاں آکر منت مانتے (....)
- 46- هارون الرشيد بن محمد المهدي هو الخليفة العباسي الخامس، يعتبر من أشهر الخلفاء العباسيين. حكم بين عامي 786 و809 م (170 هـ إلى 192 هـ). ولد (حوالي سنة 763م في مدينة الري وتوفي سنة 809م في مدينة طوس (مشهد اليوم). انظر: <http://ar.wikipedia.org/wiki> ، مقال تحت عنوان: هارون الرشيد ، آخر تحديث: 2015/4/4م.
- 47- (....) مصر سے دو کوس آگے بڑھے – کئی مقبرے قدیمی صحرا میں نظر آئے – اہل عرب سے حال ان کا پوچھا – انہوں نے کہا مقبرہ ہارون رشید اور کئی بادشاہوں کا ہے – مدت کا بنا ہے – سامنے سے عمارت مستحکم اور وسیع نظر آئی – مگر بہ سبب رواروی راہ کے وہاں کی سیر نہ ہو سکی (....)
- 48- انظر: <http://ar.wikipedia.org/wiki> ، مقال تحت عنوان: عيون موسى (مصر) ، تاريخ الدخول: 2014/7/25م.
- * المقصود هنا عيون موسى.
- 49- (....) وہاں سے تین کوس کے فاصلہ پر ایک کنواں اچھا تھا – نام اس کا بیر موسے اور

- پانی اُس کا میٹھا....)
- * لم أجد في أي مصدر أو مرجع أي حديث عن كتابات هندية في منطقة جبل الطور، فإما أن أحد الهنود قد زار المنطقة وحفر بعض الكتابات التي لا تنتمي للأثار، وإما أن الأمر التيسر على يوسف كمبل وهذا هو الظن الغالب لأن كاتبنا عموماً لم يكن يتسم بالدقة كما ظهر من الدراسة.
- 50- (.... نام اس کا وادی ایمن مقام بنی اسرائیل کا تھا - چالیس برس تک گروہ بنی اسرائیل کا اس میں حیران و پریشان رہا - - جابجا پہاڑوں پر خطوط عربی، ہندی، عبرانی لکھے - ظاہراً وہ سب لکھے ہوئے بنی اسرائیل کے تھے - ہر چند غور و خوض کیا - مگر مضمون اس کا ہم میں سے کسی کی سمجھ میں نہ آیا - ایک جگہ تکیہ قبرستان بدویوں کا نظر آیا....)
- 51- المقصود بالقلعة دبر سانت کاترین
- 52- (.... کوہ طور نام رکھتا - پہاڑ کے اوپر ایک قلعہ بنا ہے - بلندی میں آسمان سے باتیں کرتا ہے اگر اتنا بلند نہ ہوتا، مال اور اسباب اُس کا لُٹ جاتا....)
- 53- (.... کوہ طور اُٹھ ہزار فٹ بلندی رکھتا - اوپر چڑھنے کو ایک زینہ پتھر کا قدیم سے بنا ہوا - اُس زینہ سے رستہ آمد و رفت کا مشہور ہے کہ وہ ہزار برس کا شاہ گریک کا بنوایا ہے - کوہ طور پر ایک حوض نظر آیا - کنارے اُس کے ایک درخت سرو کا لگا - اگرچہ حوض پانی سے خالی تھا - مگر ایسا تروتازہ اور سیدھا درخت سرو کا کبھی دیکھنے میں نہیں آیا - آگے بڑھ کر ایک غار دیکھا پانی اس کا شربت سا میٹھا - میں اُس کو پی کر چپ و راست پھرا - پہاڑ عظیم الشان نظر آیا - تھوڑا آگے بڑھا - نشان پیٹھ حضرت موسیٰ کا پتھر میں پایا - تفصیل اُس کی یہ ہے کہ ایک دفعہ حضرت موسیٰ تحریر احکام الہی میں مشغول تھے - ناگہاں ایسی چمکاری نور کی چمکی کہ حضرت موسیٰ پیٹھ پہاڑ سے لگا کر حیران ہوئے - از راہ اعجاز پتھر میں نقش پیٹھ آنحضرت کا پڑ گیا.... عبادت خانہ گریک اور اہل اسلام کا اُس پہاڑ پر تھا - یہ سیر دیکھ کر اور مقام پر گیا کہ بنی اسرائیل نے حضرت موسیٰ سے بہت مبالغہ سے پانی مانگا - حضرت موسیٰ نے عصا اپنا پتھر پر مار کر چشمہ پانی کا نکالا - اب اُس میں پانی نہ تھا مگر نشان ثابت ہوتا اور ایک جگہ پر نشان سر گو سالہ پرستش بنی اسرائیل کا تھا....)
- 54- (.... دیکھتے بھالتے کنارے مصر کے پہونچا - وہاں دو تین لڑکیوں خوبصورت نے آگھیرا - پھٹے پرانے کپڑے پہنے سوال بخشش و انعام کا کرتیں اور پیچھے ہمارے دوڑتی آتیں - مجھ کو ان کے جمال اور کمال افلاس پر رحم آیا - ان گلوں کا کانتوں میں دوڑ ناول کو نہ بھایا - بطریق بخشش اُن کو کچھ دیا اور خوبصورت کیا - وہ اپنی زبان میں دُعائیں دیتی پھر گئیں اور بخشش پانے سے نہایت خوش ہوئیں - مصر میں اس قدر غلبہ سائلوں اور فقیروں کا ہوتا ہے کہ مسافروں کو راہ چلنا مشکل پڑتا ہے....)
- 55- عصر محمد علی، مرجع سابق، من ص: 489.
- 56- (.... راہ نہر میں کنارے شہر کے ویرانی گانوں کے دہات صوبہ اودھ سے یاد دلاتی - بسبب ظلم شاہ مصر کے رعیت برباد ہوئی بلکہ بستی اجڑ گئی - تمام راہ میں دیکھتا گیا - زمین قابل زراعت کو افتادہ پایا - عامل تردد زراعت میں رہتے ہیں مگر لوگ بہ سبب سخت گیری اور جبر اُن کے کاشتکاری سے کنارہ کرتے ہیں - شاہ مصر اگرچہ ہر بات میں مردِ دانا ہے پر رعیت پر سخت ظلم کرتا ہے - ہر شخص اُس کے ہاتھ سے دست با خدا ہے....)
- 57- (.... آبادی شہر مصر کی ایسی ہے کہ شہر بھر کی چھت ایک دوسری سے ملی ہے -

اگر کوئی ایک چھت پر چڑھے - سب چھتوں پر بے تکلف جا سکے - اس کثرت آبادی سے یہ بات ثابت ہوتی کہ فصل گرمی میں نہایت گرمی ہوتی ہوگی....)

58- (... وہاں سے پھر آتا تھا - راہ میں ایک پھاٹک کے نیچے ایک بیمار پڑا دیکھا - اس نے میرے دیکھتے ہی سوال کیا کہ اللہ مجھ بیمار غریب الوطن پر بہ تصدق حضرت عیسیٰ کے رحم کرو اور کہیں رہنے کی جگہ دو - میں نے اس سے پوچھا تو کہاں کا رہنے والا اور مذہب تیرا کیا ہے - کہا وطن میرا بمبئی اور مذہب میرا عیسوی ہے - ایک صاحب والا شان کا نوکر ہو کر اس کے ساتھ جاتا تھا - مصر میں پونچ کر مرض نپ اور بخار میں گرفتار ہوا - لاچار ہو کر اپنے آقا سے عذر بیماری کا کیا - درماہ لے کر یہاں تک آیا - اب یہاں کوئی خبر گیر میرا نہیں ہوتا - پھر میں نے اس سے کہا - میں مذہب سلیمانی کا یقین اور آئیں رکھتا ہوں - کوڑی پیسا پاس نہیں رکھتا ہوں - تو اپنے مذہب والوں سے مطلب اپنا ظاہر کر.... ایک شخص عیسائی سوئیس کا رہنے والا تسبیح ہاتھ میں لیے سامنے آتا تھا - اپنے مذہب میں بہت پر بیز گار اور متقی - ملک شام میں زیارت مقبرے حضرت عیسیٰ علیہ السلام کی کی - بظاہر اپنے مذہب والوں سے تقویٰ، طہارت میں سبقت لے گیا - نہایت مرفہ الحال اور صاحب مقدر تھا - میں نے اس بیمار رسائل سے اشارے آنکھ سے کہا - یہ جو صاحب بڑے دیندار آتے ہیں ان کو حال اپنا کہہ سنا - وہ برابر آئے - اس نے گڑ گڑا کر کہا میں مذہب عیسائی رکھتا ہوں، مسافرت میں بیمار پڑا ہوں - برائے خدا مجھ پر رحم اتنا کرو کہ گھر لے چل کر میری دوا کرو - انہوں نے اس سے یہ بات سن کر پوچھا تو خط صلیبی کھینچنا جانتا ہے - اس نے فی الفور خط صلیبی ابرو سارے بدن پر کھینچ کر دکھلایا اور ان کے پاؤں پر گرا - وہ خفا ہو کر سخت کلمے کہہ کر چلے گئے، ایک پیسا بھی نہ دے گئے - سوا باتوں سخت و ناروا کے - اسی طرح بہت پادری اور کتھے اور صاحب اس راہ سے نکلے - حال اس کا دیکھتے گئے - سبھوں سے اس نے سوال کیا مگر کسی نے اس پر رحم نہ کیا - اس سخت دلی ان لوگوں سے ثابت ہوا کہ عقیدہ درست نہیں ہے کسی کا - ظاہر میں پادری اور سب صاحب مذہب عیسائی کا دم مارتے ہیں، باطن میں ذرہ بھر ایمان نہیں رکھتے ہیں - حضرت عیسیٰ نے ان لوگوں کے حق میں فرمایا کہ حال ان کا مثل مقبرے کے ہے - ظاہر میں آراستہ و خوشنما، اندر اس کے سوائے ہڈیوں مردہ کے اور کیا - اسی طرح میری امت کے لوگ ظاہر میں میری محبت کا دعویٰ کریں گے - باطن میں کچھ اس کا خیال نہ رکھیں گے - دین عیسائی بالذات بہتر ہے - لیکن اس مذہب والے اپنے طریق سے بے خبر ہیں.....)

59- (... اگر یہ لوگ ہم سے کچھ پاوین، راضی ہو کر کھانے نفیس کھلاویں - پر نکل صاحب میرے کہنے سے راضی ہوئے - ایک کو ان میں سے پانچ روپے دیے - اس دن دوپہر کو جب میز پر دستر خوان بچھا - پستہ، بادام، انڈا، روٹی، چاول اور ہر طرح کا کھانا موجود ہوا - میں نے دل میں کہا - سبحان اللہ، باوصفیکہ انہوں نے ترک تعلقات کر کے یہاں بیٹھنا اختیار کیا - اس پر بھی دل سے دنیا کی محبت کو نہ چھوڑا - تھوڑے روپے دینے سے کیا کیا تکلف کیا اور اقسام اقسام کا کھانا سوائے گوشت کے میز پر لگایا - اس سے ثابت ہوا کہ ان کا اظہار نان خشک کا بیجا تھا - میوے اور کھانے مرغن کھاتے - نہیں تو ایسے موٹے کیوں کر ہو جاتے کہ سب جنگلی سور کی طرح پھولے تھے اور لنبے چوڑے نظر آتے - دوسری دلیل یہ کہ میں نے اپنی آنکھوں سے دیکھا، ایک شخص ایک برتن کندھے پر رکھے آتا - پکی مچھلیوں سے بھرا تھا - ان پادریوں کے لیے لایا - مخفی جگہ پر بیٹھ کر انہوں نے کھایا - تیسرے پھر کو میں نے چھپ کر ان کے کھانے کا مکان دیکھا - ہر ایک

- 60- (.... مگر ایک امر قابل دید ہے - نا دیدو نا شنید ہے - وہ یہ کہ رات کے وقت ترک اور عرب قہوہ خانوں میں بیٹھ کر حقہ چپک کے دم کھینچتے ہیں اور شراب پیتے ہیں - داستان گو اُن کے سامنے قصہ کہانیاں نادر کہتے ہیں - سابق شراب نوشی کا رواج نہ تھا - محمد علی شاہ کے زمانہ سے اس کا بہت چرچا ہوا ، اس لیے کہ بادشاہ اور شہزادہ ولی عہد علانیہ شراب پیتے ہیں - سفر اور حضر میں اس کو ساتھ رکھتے ہیں)
- 61- (.... راہ میں عورتیں مصر کی دیکھیں - برقع ریشمی پہن کر مقدور والیاں باہر نکلتی تھیں اور جو غریب اور بے مقدور تھیں سوتی برقع پہنے پھرتیں - بہ سبب برقع کے بدن اُن کا سر سے پاؤں تک چھپا تھا - کوئی عضو نظر نہیں آتا - آنکھوں کے برابر ایک ٹکڑا جعلی کا سیا تھا - اُس سے رستہ نظر آتا - بعض کو دیکھا کہ پردہ اُٹھا کر منہ اپنا رابیوں کو دکھاتیں - برقع برائے نام پہنے تھیں - چہروں اُن کے سے جمالِ یوسفی عیاں تھا - چال ڈھال میں حسن زلیخائی نمایاں - مگر اتنا عیب رکھتیں کہ قد وقامت میں اکثر موٹی تھیں)
- 62- (.... پھر میں نے مصطفیٰ سے کہا - میرا قصد ہے حمام میں نہانے کا - وہ ایک حمام میں لے گیا اندر اُس کے حوض بھرا پانی کا تھا - راہ فراروں سے پانی بہتا - کئی ترک کنارہ اُس کے بیٹھے لطف کر رہے تھے - کوئی قہوہ ، کوئی چپک پیتا - بندہ نے موافق قاعدہ مقرر کے وہاں جا کر کپڑے نکالے - پانچ چھ حمامی مالش بدن میں مشغول ہوئے - اپنی زبان میں کچھ گاتے جاتے مگر مضامین اس کے میری سمجھ میں نہ آتے - جب وہ ہنستے ، میں بھی ہنستا ، جب وہ چپ رہتے ، میں بھی چپ رہتا - میں نے کہا مصطفیٰ سے کہ ان سے کہہ دے موافق رسم اس ملک کے بدن ملیں ، کسی طرح سے کمی نہ کریں - ان رسموں سے مجھ کو پر بیز نہیں - مذہب سلیمانی میں ہر امر موقوف ہے ایک وقت کا - ایک وقت وہ ہوا کہ میں جہاز میں میلا کچیلتا تھا - ایک وقت یہ ہے کہ نہار ہا ہوں - میں ان کو راضی کروں گا خوب سا انعام دوں گا - انہوں نے بموجب کہنے کے بدن خوب سا ملا اور اچھی طرح نہلایا - بعد فراغت کے ایک اور مکان میں لے گئے - اُس میں فرش صاف تھا - گرد اُس کے تکیے لگے - اُس پر بٹھلا کر پوشاک پہنائی - مجھ کو اُس سے راحت آئی - بعد ایک دم کے تین لڑکے خوبصورت کشتیاں ہاتھ میں لے کر آئے - ایک میں قہوہ ، دوسری میں شربت ، تیسری میں قلیاں چپک رکھ لائے - فقیر نے شربت اور قہوہ پیا - حقہ کا دم کھینچا - پھر ایک خوشبو مانند عطر کے مانگ کر لگائی - بتیاں اگر وغیرہ جلائی - حمام کیا بجائے خود ایک بہشت تھا - دل میں خیال آیا اگر شاہد شیریں ادغام زدہ ہو ، یہ مقام غیرت دہ روضہء رضوان کا ہو - دو گھڑی وہاں ٹھہرا پھر باہر نکل کر کئی روپیے حمامیوں کو دے کر بڑے صاحب کے مکان پر آیا)
- 63- للحصول علی معلومات اکثر عن البعثات الطبیبة وإنشاء مدرسة الطب ومن عمل بها من أساتذة، انظر: عصر محمد علی- عبد الرحمن الراجعی- مرجع سابق- من ص: 400 إلی ص: 424

*المقصود الإسکندریة.

- 64- (.... دوسرے دن گدھے پر سوار ہو کر شہر کا تماشا دیکھنے گیا - آدمیوں کو میلے اور کثیف کپڑے پہنے پایا - اکثروں کو نا بیبا دیکھا - سبب اُس کا یہ قیاس میں آیا کہ اُس شہر میں ہوا تند چلتی ہے ، مٹی کنکریلی اُڑ کر آنکھوں میں پڑتی ہے)
- 65- (....)مجدی میں صدبا زن و مرد نا بیبا نظر آئے - بہتیر لڑکے بغل میں دابے میلے کپڑے

پہنے بیٹھے - آدمیت سے مطلق بہرہ نہ رکھتے اور میل بدن کے سبب سے ہر ایک کے کپڑے میں جوں پڑی - چنانچہ وہ لوگ جوں مارنے میں مشغول تھے - یہ حال دیکھ کر مجھ کو نفرت آئی طبیعت گھبرائی)

66- (.... راہوں اور کوچوں میں تنگی ہے - اس سبب سے بیشتر وبا آتی ہے - آدمی وہاں کے مفلس و پریشان اکثر تھے - بعضے راہ میں فاقہ مست اور خراب پڑے ہوئے مثل سگان بازاری، ہندوستان کے - دیکھنے ان کے سے سخت تنفر ہوا)

67- (.... اُس کے بعد ایک اور عمارت نظر آئی - پاس اُس کے دوکان نان بائی کی - میں نے پوچھا یہ مکان کس کا ہے - لوگوں نے اظہار کیا - دیوانے تمام شہر کے اس میں قید رہتے ہیں - جو مسافر ادھر سے گزرتے ہیں - نان بائی کی دوکان سے روٹی مول لے کر اُن کو کھلاتے ہیں - میں نے بھی اُس دکان سے روٹی مول لی ، اُس مکان میں جانے کی نیت کی - اندر گیا - دیوانوں کو دیکھا ، کتوں کی طرح دست وپازنجیر میں بندھے ، چٹائی پر بیٹھے - گلوں میں طوق اپنی پڑے - کثافت سے کپڑوں میں جوں پڑی تھیں - مکھیوں کے غول ہر ایک پاس بھن بھنار ہے تھے - اسی طرح دوسری طرف رنڈیاں دیوانیاں گرفتار - وہ بھی یوں ہی بحال زار - ان قیدیوں کا حال دیکھ کر مجھ کو عبرت آئی - روٹی ہر ایک کے سامنے پھینک دی - ایسے بھوکے تھے کہ جلدی سے روٹی منہ میں ڈال کر کتوں کی طرح نگل گئے - اُن کے لیے سرکار شاہ مصر سے کھانا مقرر تھا - مگر کارندوں کی بددیانتی سے ایک ٹکڑا روٹی کا بھی اُن کو نہ ملتا - خوراک اُن کی مسافروں کے آنے پر ہے - سو بھی جو مسافر نرم دل اُس راہ سے گزرتا ہے اور حال اُن کا سنتا ہے - اُس مکان میں جاکر اُن کو روٹی کھلاتا ہے نہیں تو اپنی راہ چلا جاتا ہے - ان میں ایک جوان وجیہ لئیق ترکی نژاد عمر چالیس برس کا اسی حال میں مبتلا تھا - اُس کے پاس جا کر میں نے حال پوچھا - زبان ترکی سے کچھ کلام کیا - مگر میں اُس کو نہ سمجھا - بہر حال وہ شخص عقل و ہوش رکھتا - نا حق اُس مکان میں قید تھا - یہ ثابت ہوا کہ مصر میں اگر کسی کو کسی سے عناد ہوتا قاضی کو رشوت دے کر اُس کو دیوانہ ظاہر کر کے اُس مکان میں قید کروانا ہے - مجھ کو تعجب اور تاسف آتا ہے کہ رعیت پر ، خاص دیوانوں پر ، اتنا ظلم ہوتا ہے - مگر بڑا صاحب جو وہاں رہتا ہے ، شاہ مصر سے اُن کے مقدمے میں کچھ نہیں کہتا ہے - سوا اُس کے اکثر انگریز اور اُس راہ سے گزرتے ہیں - مگر ان دیوانوں کے حق میں شاہ مصر سے کلمۃ الخیر نہیں بولتے ہیں - با وجود کہ نیت صاحبان انگریز کی رفاہیتِ خلائق پر مصروف ہے اور پاگ ارادے اُن کے بہبودِ خلقت پر معطوف ہے - جو کوئی اُن بچاروں کو اُس مصیبت سے چھڑالے ، دنیا و آخرت میں اجر عظیم پاوے - ایک مکان سودائیوں کا لندن میں دیکھا تھا - ہر ایک نفاست سے سنگ مرمر کی کرسی پر بیٹھا تھا - پوشاک نفیس پہنے ہوئے - آدمی خدمت کے لیے سرکار سے مقرر تھے - ڈاکٹر علاج کے واسطے مقرر - ہر طرح کی دوا و غذا سرکار سے میسر - مکان ایسا صاف اور بہتر تھا کہ مکھی کا ہر گز گزر نہ تھا - جب کوئی جنوں سے صحت پاتا ہے اپنے گھر خیریت سے بھیج دیا جاتا ہے - یا ملازم سرکاری ہوتا ہے - یہاں ہر خلاف اُس کے عمل میں آتا ہے - کوئی اُن دیوانوں کی خیر نہیں لیتا ہے - اگر مسافر آنکلیے ، اُن کو کچھ کھلاوے نہیں تو فاقہ کریں ، مصیبت میں رہیں - اگر خدا کی قدرت سے بے دوا اور علاج کوئی اچھا ہو جاوے ، اس مکان سے نکلنے نہ پائے انگلستان میں کتے بھی ان دیوانوں سے اچھے رہتے ہیں - کھانے کی طرف سے ہرگز تکلیف نہیں کھینچتے ہیں - یہ عجب بادشاہ اور عجب کارندے ہیں - بنی

- آدم کو ایسی تکلیف میں ڈال کر روٹی کی خبر نہیں لیتے ہیں....)
- 68- عصر محمد علی - مرجع سابق - من ص: 108 إلى ص: 116. وانظر أيضا: محمد علی سیرتہ و أعمالہ و آثارہ - إلیاس الأیوبی - مرجع سابق ، من ص: 95 إلى ص: 101. ***على جدران القلعة. *المقصود مصر المحروسة.
- 69- (.... لوگوں نے بیان کیا کہ ایک قوم عرب نام اس کا مملوک تھا - مدت سے اس شہر میں رہتے، شجاعت و بہادری میں بے نظیر تھی - اطاعت بادشاہ کی بسبب جرأت کے نہ کرتے - سب سات سو نفر تھے - آخر ایک دن شاہ مصر نے اُن سے فریب کیا یعنی بہانہ دعوت سے سب کو اُس مکان میں بلایا - جب وہ سب جمع ہوئے - دروازے بند کروا دیے اور اپنے لوگوں کو دیواروں پر چڑھایا - گولی، نیزے، تلوار سے اُن کو مروایا - وہ زخموں سے چور دوڑے دوڑے پھرتے - یہ دہتے اُنہی کے خون کے ہیں، جو دکھائی دیتے....)
- 70- http://www.faroukmisr.net / مقال تحت عنوان: الجيش المصرى فى عهد محمد علی باشا الكبير- آخر تحديث: 24 / 2 / 2015م.
- 71- للحصول على مزيد من المعلومات عن الجيش والأسطول فى عهد محمد علی، انظر: صفحة من تاريخ مصر فى عهد محمد علی الجيش المصرى البرى والبحرى - عمر طوسون - مكتبة مدبولی - القاهرة - الطبعة الثانية - 1416هـ / 1996م.
- 72- عصر محمد علی - عبد الرحمن الرافعى - مرجع سابق - من ص: 343 إلى ص: 349.
- 73- للحصول على معلومات أكثر عن حروب محمد علی، وتآمر القوى العظمى ضده، انظر: عصر محمد علی - عبد الرحمن الرافعى - مرجع سابق - من ص: 117 إلى ص: 320.
- 74- (.... ہر ایک سپاہی کے کندھے پر بندوق فرانسسیسی - سب جوان جسیم اور موٹے مگر قد وقامت کے چھوٹے - کپڑے پرانے ، سڑیل پہنے - افسر اُن کے بھی ویسے ہی کثیف پوش تھے - اگر ایسے لوگ توانا اور قوی فوج انگریزی میں ہوں - بادشاہ روئے زمین کے مقابلہ میں عاجز ہوں اور زبوں - مگر یہاں خرابی میں مبتلا تھے - کوئی کسی کو نہ پوچھتا کوئی شخص نوکری فوج شاہی میں بخوشی نہیں قبول کرتا ہے - شاہ مصر زبردستی نوکر رکھتا ہے اس لیے کہ خوفِ مضرت و بلاکت و قلتِ منفعت ہے - لوگ اپنی اولاد کو عیبی کرتے ہیں - یعنی آنکھ یا دانت توڑتے ہیں تا کہ نوکری سپاہ سے بچیں - نوکر ہونے کے ساتھی دائیں ہاتھ پر سپاہی کے بموجب حکم شاہی کے داغ دیا جاتا ہے - پھر عمر بھر اسی نوکری میں رہتا ہے - ماں باپ عزیز واقربا پاس نہیں جا سکتا ہے - چھاؤنی فوج کی مانند گھر سوروں کے مٹی اینٹ سے بنی - ہر ایک کوٹھری میں سوا ایک آدمی کے دوسرے کی جگہ نہ تھی - اونچاؤ اُس کا ایسا کہ کوئی آدمی سیدھا کھڑا نہ ہو سکتا - کھانے کا یہ حال تھا کہ شام کو گوشت چاول کا ہریسہ سا پکتا - طباقوں میں نکال کر رکھ دیتے - ایک طباق میں کئی آدمیوں کو شریک کر کے کھلاتے معاذ اللہ یہ نوکری کیا بدتر ہے - اکبارگی اپنے تئیں دریایا کنویں میں گرانا بہتر ہے اُس شاہ والا شان سے یہ امر بعید نظر آتا ہے کہ لوگوں کو زبردستی سے نوکر رکھتا ہے اور اُن پر جبر کرتا ہے....)
- 75- بعد أن فتح محمد علی السودان، صارت هناك حدود مشتركة بين الدولة المصرية وإثيوبيا، ثم انتصر ابنه إبراهيم باشا في حروبه في الحجاز (السعودية حاليا) وقضى على الدولة الوهابية الأولى، فكان أن عينه السلطان العثماني على باشوية جدة عام 1820، وكان يتبعها إيالة

- الحبش، ولهذا سمي إبراهيم باشا بمتصرف جدة والحبشة. مع استيلاء أسطول محمد علي أيضا على موانئ اليمن في جنوب البحر الأحمر، كاد البحر الأحمر هكذا أن يتحول إلى بحيرة مصرية خالصة شرقه وغربه. يعتقد بعض المؤرخين أن محمد علي كان ينوي غزو إثيوبيا وضمها إلى السيادة المصرية، وبهذا يسيطر على وادي النيل كله من منابعه، وربما كان لتحذير القنصل البريطاني العام في مصر أثر في أنه لم يمتد في الأمر، ثم صار أن انشغل عنه نهائيا بحروب المورة والاضطرابات في الحجاز مما جعله يتخلى عن الفكرة. انظر: <http://thamar.ahlamontada.net> مقال تحت عنوان: محمد علي وخلفاؤه وحروبهم مع الحبشة (إثيوبيا) - آخر تحديث: 17 / 1 / 2014م.
- 76- (... اتفاقاً لشكر بيدل شاه مصر کے نے آ کر وہاں کئی دن مقام کیا - حبش کی لڑائی کا قصد رکھتا تھا - خیمہ اور ڈیرہ لشکر کا مانند فوج انگریزی کے صاف اور خوشنما تھا - اچھی جگہ پر استادہ ہوا - میں نے ان لوگوں سے ملاقات کی - ہر ایک کی صورت دردناک اور غم گین تھی - حال پوچھا کہ تم لوگوں کو کیا صدمہ ہوا - انہوں نے کہا - ملک حبش بہت گرمی رکھتا ہے ہم میں سے زندہ بچ کر ایک بھی پھرتا نہیں نظر آتا ہے - ہر ایک کی ماں بہنیں سوئیس تک پہنچانے آئیں تھیں - گویا لب قبر تک پہنچانے چلیں - مجھ کو ان کی جوانی پر رحم آیا کہ افسوس ہر ایک جوان مارا جائے گا - برداشت گرمی اور مقابلہ اہل حبش کی کون لائے گا)
- 77- صفحہ من تاریخ مصر فی عہد محمد علی الجیش المصری البری والبحری - عمر طوسون - مرجع سابق - المقدمة ص:ب .
- 78- (... محمد علی شاہ بادشاہ مصر کا ہے - بہتر برس کی عمر رکھتا ہے - بہت صاحب تدبیر و انتظام ہے - جہاز جنگی اُس کے پر استحکام - صفائی اور سب باتوں میں مثل جہاز انگریزی - مگر افسروں جہاز کی پوشاک نفاست میں بہ نسبت جہازوں انگریزی کے کم تھی)
- 79- إبراهيم باشا بن محمد علي باشا بن إبراهيم آغا 1789- 10 نوفمبر 1848م ، الابن الأكبر لوالي مصر محمد علي باشا نصب كقائم على العرش نيابة عن أبيه من 2 مارس حتى 10 نوفمبر 1848م. قاد حملة عسكرية على وسط الجزيرة العربية وقضى على الدولة السعودية الأولى. للحصول على معلومات وافية عن إبراهيم باشا ، انظر:
- عصر محمد علي - عبد الرحمن الراجعي - مرجع سابق - من ص: 567 إلى ص: 574 .
- محمد علی واولادہ بناۃ مصر الحدیثۃ - جمال بدوی - مرجع سابق.
- 80- (... شاہزادہ ولی عہد محمد ابراہیم نام رکھتا ہے - زبانی وہاں کے لوگوں کے شجاعت و بہادری میں یکتا ہے - باوصف اس قدر حکومت و اقتدار کے لڑائی کے وقت سامان آسائش کا ساتھ نہیں لے جاتا ہے - خیال سبکباری سے جریدہ رہتا ہے - ایک دن لڑائی میں دو تین اونٹ بوجھ لے ہوئے نظر پڑے - پوچھا کہ یہ اسباب کس کا اور اونٹ کس کے - مصاحبو نے عرض کیا کہ ان پر اسباب ہمارا لدا ہوا ہے - بہت ناخوش ہو کر کہا میں اپنے ساتھ کچھ سامان نہیں رکھتا اور رات کو زمین پر سوتا ، تم کو اس قدر اسباب ساتھ لے چلنا کیا ضرور تھا - اس آرام طلبی کی وجہ سے ان کو نوکری سے جواب دیا - از انجا کہ مزاج بادشاہ اور شہزادے کا متوجہ شراب نوشی کے ہے - ساری فوج اور رعیت کو اثر اُس کا آیا ہے - یعنی ہر ایک شراب پیتا ہے)
- 81- (... بہت رسمیں اور حکمتیں ایجاد کیں جو زمانہ سابق مصر میں نہ ہو سکتیں تھیں - اُن میں سے ایک یہ امر نیا ہے کہ لوگوں کو توپ اور بندوق ڈھالنا سکھایا ہے - چنانچہ تو

پیں تیار کرواتا ہے۔ فوج کو قواعد انگریزی سکھلاتا ہے۔ مصوروں کو نوکر رکھا ہے۔ رعایا کو حکم دیا ہے کہ اپنے لڑکوں کو فن تصویر کشی تعلیم کروائیں۔ لندن کی طرح تصویر مومی بھی اُن سے بنوائیں۔ وہاں آگے لوگ اس فن کو بُرا جان کر نفرت کرتے تھے۔ اب ایسا رواج ہوا کہ ہنر سمجھے۔ جابجا مدرسہ بنوایا ہے۔ عالموں اور طالب علموں کا درمابہ مقرر کیا ہے۔ بہت سے لڑکے نوکر رکھ کر انگلستان اور فرانس فن جہاز رانی سیکھنے کے لیے بھیجے۔ اسی طرح صدہا امر خیر اُس نے اپنی ذات سے رواج دیئے۔ غرض کہ بعضی بات میں قابلِ تحسین و آفریں، بعض رسمِ ظلم و ستم سے سزاوار نفریں....)

صورة مصر في كتاب تاريخ يوسفى ليوסף كميل بوش المعروف بعجائبات فرنگ

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

- إلياس الأيوبى
- محمد على سيرته وأعماله وآثاره - إدارة الهلال بمصر - 1923م.
جمال بدوى
- محمد على وأولاده بناء مصر الحديثة - مكتبة الأسرة - مهرجان القراءة للجميع - 1999م.
حسن بيرنيا
- تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساسانى - ترجمة: محمد نور الدين عبد المنعم و السباعى محمد السباعى - مراجعة وتقديم: يحيى الخشاب - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ب.ط. - ب.ت.
سمير عبد الحميد نوح
- الجزيرة العربية فى أدب الرحلات الأردني - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - عمادة البحث العلمي - سلسلة آداب الشعوب الإسلامية - 1419 هـ
عبد الرحمن الجبرتي
- عجائب الآثار في التراجم والأخبار (الجزء الرابع) - مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة - ب.ط. - ب.ت.
عبد الرحمن الرفعى
- عصر محمد على - دار المعارف - الطبعة الرابعة - سنة 1402 هـ / 1982م .
عمر طوسون
- تاريخ الاسكندرية القديم وترعة المحمودية - كلمات عربية للترجمة والنشر - القاهرة - ب.ط. - ب.ت.
- صفحة من تاريخ مصر فى عهد محمد على الجيش المصرى البرى والبحرى - مكتبة مدبولى - الطبعة الثانية ، 1416هـ / 1996م.



ثانياً: المصادر الأردنية:

- يوسف خان كميل بوش
- تاريخ يوسفى المعروف به عجائبات فرنگ - تحقيق وتدوين: مظهر احمد - نيو انڈيا آفسيٹ پريس - دہلى - ب.ت.



ثالثاً: المراجع الأردنية:

- انور سديد
- اردو ادب كى تحريكين (ابتدائے اردو سے سنہ 1975ء تک) - انجمن ترقى اردو پاكستان - اشاعت اول 1985ء .
سيد وقار عظيم
- داستان سے افسانے تک - الطبعة الأولى - 1989م
سليم اختر

رانیا محمد فوزی

– اردو ادب کی مختصرترین تاریخ – آغاز سے 2000 تک – کتابی دنیا دہلی – سن اشاعت 2005ء
عابدہ بیگم
– اردو نثر کا ارتقا 1800 سے 1857 تک – دہلی – الطبعة الأولى 1988م.



رابعاً: الموسوعات:

- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة – الندوة العالمية للشباب الإسلامي – الرياض – المملكة العربية السعودية - الطبعة الثانية 1409 هـ / 1989م



خامساً: أبحاث ومقالات من مواقع الإنترنت:

- <http://ar.wikipedia.org/wiki>
- <http://digital.ahram.org.eg>
- <http://www.faroukmisr.net>
- <http://www.najran999.com>
- <http://themar.ahlamontada.net>